ألفه مجموعة من الباحثين والمؤرخين
تعريب المطران جرجس القس موسى

دار بيبليا للنشر
الموصل ٢٠١٢

قلعة مار سمعان العمودي
(بين عامي ٤٧٦ - ٤٩٠)
بالقرب من حلب /سوريا

الخطوات الأولى للمسيحية في الشرق

تستقبل نتاجات لمؤلفين ومترجمين في موضوعات حيوية وراهنة،
وفي مختلف مجالات المعرفة، والدينية منها بنوع خاص.

١. "الخطوات الأولى للمسيحية في الشرق"!

بهذا الكتاب الثمين تفتتح "روافد" مسيرتها مع نهاية عام ٢٠١٢
(وهو عام اليوبيل الفضي لمركز الدراسات الكتابية الذي عنه انبثقت دار بيبليا للنشر)

يظهر في السلسلة:

- مختطف يعيد قراءة حياته
- دليل إلى قراءة العهد الجديد
- صلاة تسليم الذات

صدر الكتاب بالفرنسية بعنوان:

LES PREMIERS PAS DU CHRISTIANISME
LE MONDE DE LA BIBLE
No.NOVEMBRE 2005 – Hors SERIE
BAYARD, PARIS - FRANCE

دار بيبليا للنشر / كنيسة مار توما - الموصل [العراق]
e-mail: bibliamosul@yahoo.com

تطلب كافة اصدارات دار بيبليا/ مركز الدراسات الكتابية
في العراق: مكتبة بيبليا/ كنيسة مار توما – الموصل
في لبنان: – مكتبة جامعة الروح القدس – الكسليك
– المكتبة البولسية – جونيه
– مكتبة دير مار اشعيا – برمانا

الخطوات الأولى للمسيحية
في الشرق
(سوريا، ارمينيا، قبدوقية)

بقلم
نخبة من الباحثين والمؤرخين
تعريب
المطران جرجس القس موسى

الموصل – العراق
٢٠١٢

كلمة الناشر

"سيبدو المسيحيون يوماً في طليعة ضحايا النزاعات التي أدمت الشرق الأدنى والأوسط"! كتبها جان لوك بونييه، مدير تحرير "عالم الكتاب المقدس"! ورجع الصدى المطران جرجس القس موسى حين كتب بصدد قوافل الذين اخذوا طريق المنفى، سواء من العراق ام من سائر بلدان الشرق: "ماذا لو لم تعد هذه القوافل إلى قواعدها التاريخية وديارها وكنائسها واديرتها...؟! ولعلّ في استذكار الماضي المجيد عبرة للذين ما زالوا على الساحة يشهدون، بحضورهم الصامت غالبا، والفاعل دوما، ودعوة إلى الذين اختاروا الاغتراب كي لا يتغربوا عن جذورهم، ولكي يتحول الحنين لديهم إلى رغبة في العودة!

كل شيء بدأ يوم العنصرة –وكان لوقا أول مؤرخ مؤمن حكى، عبر سفر اعمال الرسل، "خطوات المسيحية الأولى" في الشرق واسيا الصغرى، على يد بولس الذي غطت رحلاته الرسولية حوض البحر المتوسط. وستشهد الكتابات "المنحولة" عن نشأة كنائس انتسبت إلى رسل تركوا بصماتهم فيها، وفي مقدمتهم توما رسول كنيسة المشرق التي تصرّ على الارتقاء بايمانها إلى الفي عام، وتفاخر انها بشرت بلاد فارس والهند والصين... كما تفاخر بلغتها السريانية التي عرفت في الرها (اورفا) عنفوانها واشعاعها الفكري والروحي...

وفيما بقيت قلعة سمعان العمودي، بالقرب من حلب، شاهدة على مسيحية مدّت جذورها في عمق تاريخ سوريا، ترقى مسيحية القفقاز، في ارمينيا والبانيا وجيورجيا، إلى أوائل القرن الرابع، حين كانت اولى الترجمات السريانية والارمنية للكتاب المقدس قد شقت طريقها إلى المسيحيين الذين شهدت كنائسهم من ثم الصراعات الكريستولوجية التي اساسها خلاف حضاري اكثر منه خلاف لاهوتي! وفيما كانت الكنائس تواجه الفتوحات العربية، كانت قبدوقية، في قلب تركيا الحالية، قد تأصل لديها التقليد النسكي فأنجبت ملافنة عظاماً من مثل باسيليوس وغريغوريوس -وتشهد اديرتها وكنائسها على أصالة الروحانية عبر احجارها ورسومها ومنمنماتها وكتابات آبائها الذين طبعوا الفكر اللاهوتي...

ويطيب لدار بيبليا ان تفتتح سلسلة "روافد" بهذا الكتاب الرائع في "الخطوات الأولى للمسيحية" (عن كراريس "عالم الكتاب المقدس" عدد ت٢ ٢٠٠٥ – وكان المطران جرجس القس موسى قد أنجز تعريبه منذ عام ٢٠٠٩!). انه نتاج دسم لمؤرخين كبار واساتذة ذوي شهرة؛ وهو يخصنا من قرب، إذ يحكي بدايات المسيحية في هذا الشرق المهدد بغيابها عنه، وبالتالي بضمور خميرة الانجيل منه واختفاء الشهادة له! ولكنه لن يكون شرقا اوسط إذا خبا منه نور الانجيل وإذا لم يُضفِ عليه المسيحيون لونه وميزاته...

إليكم، إذن، هذه الباكورة من سلسلة "روافد"... في انتظار نتاجات اخرى دسمة لمؤلفين أو مترجمين من العراق وخارجه!

الموصل في ١ شباط ٢٠١٢

سنة اليوبيل الفضي لمركز الدراسات الكتابية

مع تحيات دار بيبليا للنشر

هل سيأتي يوم؟...

هل سيأتي يوم يبدو فيه المسيحيون في الشرق الأوسط من بين الضحايا الأوائل للصراعات التي أدمت هذه المنطقة منذ قرن من الزمن، فينقرض حضورهم؟ قبل سنة ١٩٠٠ كان عدد المسيحيين في تركيا الحالية زهاء خمسة ملايين، وليسوا اليوم إلا زهاء مئة ألف! لقد أبيد الأرمن وعدد كبير من السريان والكلدان والآشوريين في الحرب العالمية الأولى. وفي الأرض المقدسة، يؤخذ المسيحيون العرب، منذ سنوات، بين كمّاشتَي إسرائيل والأصولية الدينية، فينتهون على طرقات المنفى، وتكاد أرض المسيح تفرغ من تلاميذه. لبنان نفسه، الذي كان للمسيحيين دور أساس في بنائه ككيان، وبقي حتى الآن نموذجاً للتعايش الإيجابي بين الديانات، وواحة طالما تنفس مسيحيو الشرق الأوسط برئته، وتطلعوا إليه بمثابة القطر العربي الأوحد حيث للمسيحيين نسبة عددية كثيفة ودور وقرار.. ها هي صورته ترتعش وتتضبب. أما في العراق... فها هي قوافل المغادرين والنازحين، وموجة تفريغ المدن التاريخية من الوجود المسيحي، مثل الموصل وبغداد والبصرة، بالترهيب أو الترغيب، أو بموجة الرعب الجماعي ذات الدوافع والمسببات المختلفة، والتوجه إلى طرقات الدنيا عبر دول الجوار، أو شمال الوطن... ماذا لو لم تَعُد هذه القوافل إلى قواعدها التاريخية وديارها وكنائسها وأديرتها، كما لا زال الكثيرون يحلمون ويتمنون؟ أليست إيقونة العراق الذهبية في أعناق عراقيي الشتات، رمزاً لهذا الحنين؟

المواضيع التالية هي أبحاث نشرت في "كراريس" ملحقة بـ مجلة "عالم الكتاب المقدس" (عدد خاص، ت٢ سنة ٢٠٠٥) حول بدايات المسيحية وانتشارها في بقعة الشرق الأدنى والأوسط وحتى المشرق البعيد، في القرون المسيحية الأولى. ففي أنطاكية سوريا، وهي إحدى المدن المسيحية الأولى في العالم، دعي المسيحيون لأول مرة "مسيحيين"؛ وأرمينيا، هي أول دولة مسيحية في القرن الرابع. وقبدوقية، في وسط تركيا، أعطت بعض أعظم آباء الكنيسة ولاهوتييها. وفي بلادنا، بين النهرين وسوريا ومصر وفلسطين، انتعشت الحياة الرهبانية بصيغها المختلفة، منذ القرن الرابع، وفي بغداد العباسيين، ازدهرت الفلسفة والطب والترجمة على يد السريان المشارقة؛ وفي نصيبين والرها، اشتهرت المدارس اللاهوتية على يد السريان المغاربة. ولن ينسى التاريخ أن المسيحية ديانة جاءت من الشرق، ومن الشرق الأوسط بالذات.. ومن هنا أطلت على العالم وبنت الحضارات.

هدفنا من نشر هذه الأبحاث باللغة العربية، ليس إيقاظ هذا التاريخ حسب، بل إيقاظ الحمية لدى مسيحيي هذا الشرق لحمل إرثهم الثقافي والروحي كرسالة وشهادة دائمتي الثراء والعطاء، تستقيان خصوبتهما من التاريخ الماضي العريق ومن الرجاء الحاضر المتجدد، بين شعوب تلاحمت وإياهم عبر الزمن والأرض والإنسان.. ولن تُطفئ بذرةَ الأمل في صفوفهم عواصفُ التراب الدخيلة، ولا أدخنة الملغومات الموجهة من الخارج، أو من الداخل.

ونصرّ على الإيمان بأن أبناء إبراهيم هم إخوان.. والإخوان إخوان مهما عتا الزمان!!

المطران جرجس القس موسى

الموصل في ١ أيلول ٢٠٠٩

فهرس

كلمة الناشر	٧
مقدمة المحرر: كل سيناتي يوم!	٩
• رسل يسوع	١١ – ٣٢
– الانفتاح على العالم بعد العنصرة	١٤
– حقول تبشيرية اخرى	١٩
– المرسلون بعيداً	٢٧
• طرق الشرق	٣٣ – ٨٠
– مسيحيون منذ الفي عام	٣٦
– كنيسة مار سمعان	٤٤
– الاهتداءات اللفقازية	٥١
– الترجمة الارمنية للكتاب المقدس	٦١
– خصوصية كنائس الشرق المميزة	٦٨
– عندما ترجم آسيا الكتاب المقدس	٧٥
• تقدوقية المسيحية	٨١ – ١١٦
– في خضم المعركة اللاهوتية	٨٣
– الحرب ضد الاريوسية	٩١
– من المنسك الى الدير	١٠٠
– حرب الصور	١٠٥
– بين السماء والأرض: كنيسة ام الله	١١١

رسل يسوع

رسل يسوع

رسل يسوع؟ هناك مواقع اثرية وجماعات مسيحية نشطة، حتى وإن كانت قليلة جداً، ما زالت تشهد: فمنذ العصور الأولى، انتشرت المسيحية في الشرق قبل ان تبلغ إلى الغرب. ورسل يسوع وتلاميذه الاولون من اليهود الذين ما عتموا ان دعوا "مسيحيين"، توجهوا أيضا نحو اسيا وبلاد العرب وافريقيا. كيف كانوا ينظرون الى العالم المحيط بهم كيف ولمن عزموا ان يحملوا الكلمات التي تلقوها؟ فبالرغم من المصادر الشحيحة، تبقى الاسئلة المطروحة في غاية الاثارة.

• الانفتاح على العالم بعد العنصرة

دانيال ماركيرات

• حقول تبشيرية اخرى

لوسيان لكران

• المرسلون بعيدا

ماري فرانسواز باسليز

في سرجلة بسوريا، بقايا كنيسة بثلاثة اجنحة، شيدت في القرن ٦

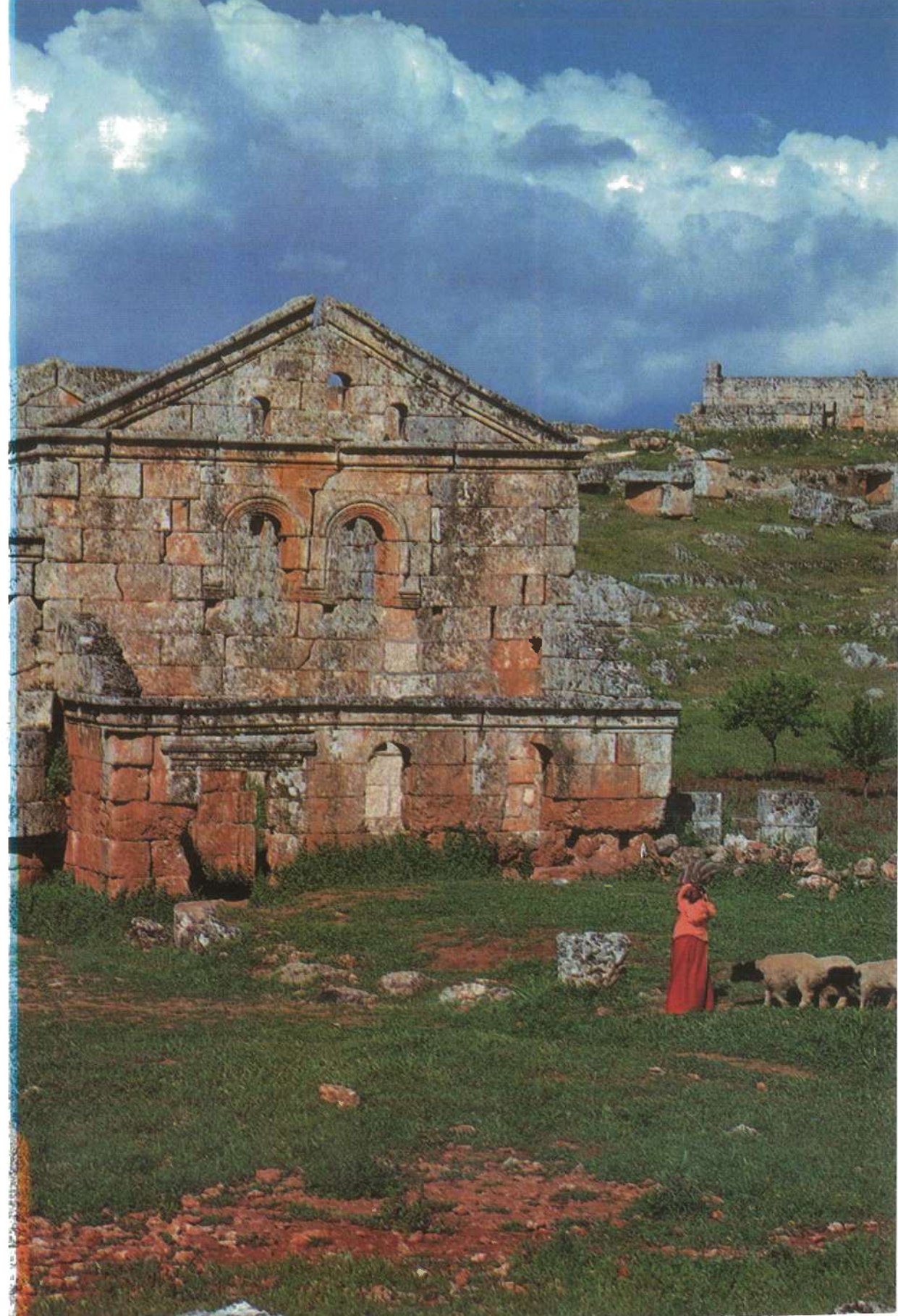

الانفتاح على العالم بعد العنصرة

بقلم دانيال ماركيرات
أستاذ العهد الجديد في كلية اللاهوت/ جامعة لوزان (سويسرا)

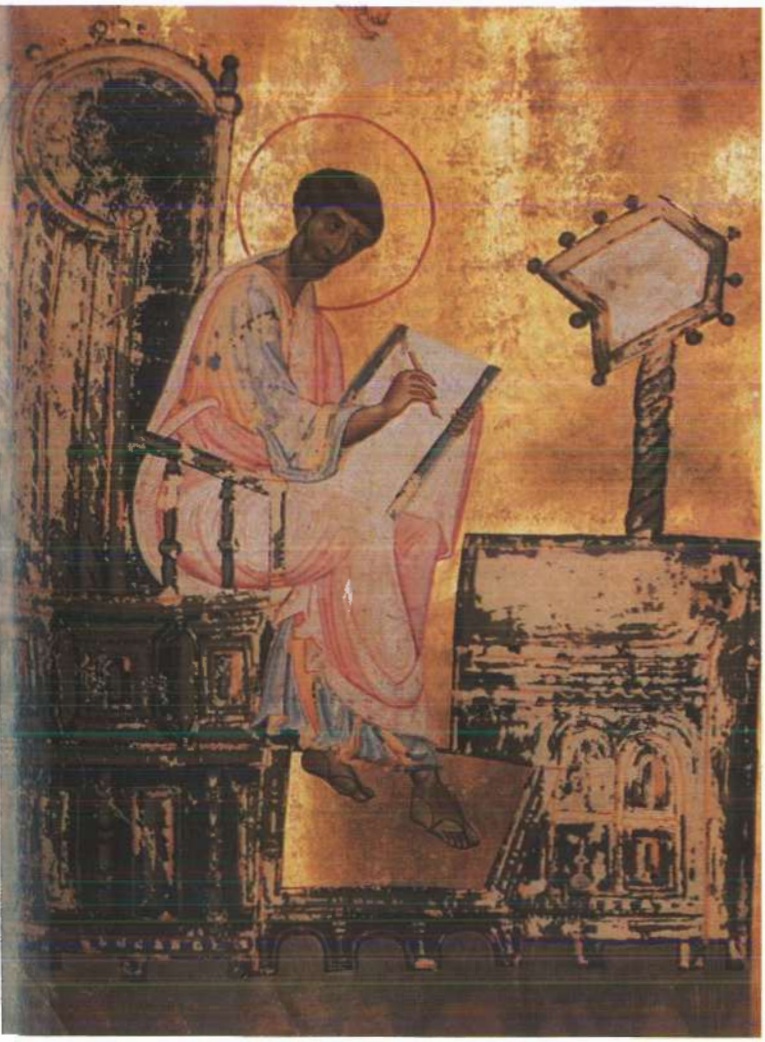

كان لوقا في مقدمة الذين أرّخوا لظهور المسيحية في العالم. فقد حرر كتابه "أعمال الرسل" نحو سنة ٨٠، كما يبدو. إن عبارة "ظهور المسيحية في العالم" ينبغي أخذها بالمعنى المحدد. فلقد قصّ لنا لوقا كيف تحوّلت المسيحية من بدعة يهودية في أعين الناس في بداياتها، إلى ظاهرة انتشرت انتشار خمائل النحل في كل العالم الذي كانت تسيطر عليه روما آنذاك. فكيف تفلغلت المسيحية، إذن، في الشرق؟

القديس لوقا كاتب الإنجيل الثالث وكتاب أعمال الرسل، منمنمة بيزنطية من القرن ١٢.
مكتبة أثينا الوطنية – المخطوط ١٦٢، ورقة ١٩٩

لم يكن لوقا مطّلعاً على كل الأحداث، ولم يرد التحدث عن كل شيء. وككل المؤرخين، انتقى أول مؤرخ للمسيحية مادته الإعلامية انتقاءً.

وهكذا لم يشر الإنجيلي إلى انتشار المسيحية في الشرق إلا لماماً. ولكنه لم يكن صامتاً تماماً في هذا الجانب. ففي نص العنصرة (أعمال الرسل ٢: ١-١٣) نرى الروح القدس يفجّر، لدى تلاميذ يسوع، مجموعة من البلاغات في لغات مختلفة. ولقد اعتبر مؤلف الأعمال هذه المعجزة الإعلامية حدثاً رمزياً لشمولية الإنجيل. ففي عيني لوقا، يمثّل الجمهور الملتئم في أورشليم، بمناسبة العنصرة، الكنيسة الجامعة التي يحيي ولادتها. وفي هذا الحدث الذي لربما كان مبهماً ومحدوداً، رأى لوقا صورة رمزية لما سيشكل المسيحية لاحقاً. وما يهمنا هنا هو لائحة الشعوب المتمثلة في نص "الأعمال" ف٢ (انظر الإطار). ففي سبيل تجسيد شمولية كلمة الله، عدّد لوقا مناطق العالم المتمثلة في الجمهور الذي شهد الحدث. ويضمّ هذا العالم الصغير من الشعوب جرداً بسبعة عشر اسماً، لازالت تقض مضجع المؤرخين والمفسرين. ترى ما هو منطق هذه اللائحة؟ لماذا ذكر سبعة عشر اسماً وأهمل غيرها مثل سوريا واليونان وغلاطية وقبرص؟

ليست هذه اللائحة متجانسة من الناحية الموضوعية. ففي تكوينها البنيوي الأساس، تمثل اثني عشر اسماً موزعاً على مجموعات مركبة من أربعة: أي أربعة شعوب (الفرثيون. الميديون. العيلاميون. سكان ما بين النهرين)؛ ثم أربعة أقاليم رومانية (اليهودية وقبدوقية، والبنطس -وهو القسم الشمالي لقبدوقية- وآسيا)؛ أخيراً أربع مناطق جغرافية (فريجيا، وبمفيلية، ومصر، وليبيا القيروان). ثم يذكر اسماً منفرداً ("الرومان المستوطنون"). ويختم بذكر ثنائيين اثنين، ينتمي الأول إلى الصنف الديني ("اليهود الدخلاء")، والثاني إلى الصنف العرقي ("الكريتيون والعرب").

لأول وهلة، نلاحظ إشارتين غير متجانستين: الإشارة إلى الرومان تبدو إضافة، كما تخرج تسمية "اليهود / الدخلاء" عن العنصر العرقي-الجغرافي. ويبدو واضحاً أن هذا الجرد ليس من قلم لوقا، وإلا لحرص على مطابقته مع جغرافية كتاب الأعمال، كما فعل بصورة غير مباشرة، حين ادخل اسم روما، كمرحلة ختامية لقصته. أما ذكر اليهود والدخلاء، فهو من قلمه، ويَبدو كخلاصة لما سيقوله لاحقاً. فلوقا يحترم مراحل تاريخ الخلاص: ان حدث شمولية البلاغ الخلاصي، الذي هو من

فعل الروح، يوم العنصرة، هو فكرة يهودية خالصة. وهكذا يحترم الامتياز التاريخي لرسالة إسرائيل. ولن تنقلب الموازنة ويسقط الحاجز الفاصل بين اليهود والوثنيين إلا بفعل ضغط إلهي، يوم لقاء بطرس وقرنيليوس.

العالم كما يبدو من اورشليم

إن العنصر الذي يجلب الاهتمام في هذا النص هو ترتيب الأسماء في اللائحة. وكما يبدو واضحاً من الخارطة يظهر هذا النظام محورياً: حيث يرسم انتقالاً دائرياً انطلاقاً من الشرق نحو الغرب، ابتداء من المدارج الشرقية للإمبراطورية وحتى ليبيا القيروانية، وتنضم إليها روما كملحق.

شعوب كتاب اعمال الرسل

ذكرت الثنا عشر أمة، من الشرق نحو الغرب، واليهودية في وسطها.

ولمّا أتى اليوم الخمسون، كانوا مُجتمعين كلهم في مكان واحد، فانطلق من السماء بغتة دويٌ كريح عاصفة، فملأ جوانب البيت الذي كانوا فيه، وظهرت لهم ألسنة كأنها من نار قد انقسمت فوقف على كلٍ منهم لسان، فامتلأوا جميعًا من الروح القدس، وأخذوا يتكلمون بلغات غير لغتهم، على ما وهب لهم الروح القدس أن يتكلموا. وكان يقيم في أورشليم يهود أتقياء من كل أمة تحت السماء. فلما انطلق ذلك الصوت، تجمهر الناس وقد أخذتهم الحيرة، لأن كلاً منهم كان يسمعهم يتكلمون بلغة بلده. فدهشوا وتعجبوا وقالوا: ألیس هؤلاء المتكلمون جليليين بأجمعهم؟ فكيف يسمعهم كل منا بلغة بلده بين فرثيين وميديين وعيلاميين وسكان الجزيرة بين النهرين واليهودية وقبدوقية وبنطس وآسية وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحي ليبية المتاخمة لقيرين، ورومانيين نزلاء ههنا من يهود ودخلاء وكريتيين وعرب؟ فإننا نسمعهم يحدثون بعجائب الله بلغاتنا. وكانوا كلهم دهشين حائرين يقول بعضهم لبعض: ما معنى هذا؟ على أن آخرين كانوا يقولون ساخرين: قد امتلأوا من الثيذ.

١ البداية في الشرق: الفرثيون ورثة الفرس، يمسكون بزمام الحدود الشرقية للإمبراطورية الرومانية، وطالما شكلوا تهديداً مستمراً لها. والميديون والعيلاميون هم شعوب قديمة سكنت جنوب بحر قزوين. أما بين النهرين، فهي هذا السهل الفسيح الممتد بين دجلة والفرات.

٢ الميدان الثاني يبتدئ من اليهودية التي أصبحت إقليماً رومانياً منذ سنة ٦ للميلاد، صعوداً نحو الشمال الغربي، ليصل إلى آسيا الصغرى.

٣ قبدوقية والبنطس أصبحتا أقاليم رومانية بعد انتصار بومبي سنة ٦٢ ق م، وهما يشكلان بقعة آسيا في عهد أوغسطس، وفريجيا هي مقاطعة شاسعة في وسط آسيا الصغرى. أما بمفيلية، وهي الأصغر، فتحتل الساحل الجنوبي.

٤ أما الدائرة الأخيرة في الجانب الجنوبي الغربي، فهي مصر والأراضي الليبية من جانب القيروان، على الساحل الأفريقي، وكانت تضم جالية يهودية قوية.

فمنطقة الإشعاع هي إذن الشرق الأوسط، من دون منازع، ما بين اليهودية وسوريا؛ ولائحة الأسماء تبسط أمام القارئ واقع العالم المحوري، أو بكلمة أخرى كافة أطراف العالم، كما يرسمها إنسان الشرق الأوسط آنذاك. ويأتي الثنائي الأخير، "الكريتيون والعرب"، وهو يمثل موقعاً ختامياً، ليغلق هذا الخط البياني الجغرافي الممتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي. وكانت جزيرة كريت تعتبر مرفأ استراحة (أعمال الرسل ٢٧). أما عبارة "العرب"، فهي تسمية عامة للدلالة على الرحَّل القاطنين في شبه الجزيرة السورية-العربية. فاللائحة إذن ما هي إلا مؤشر للدلالة على التمثيل الشمولي الذي كانت تتضمنه الحشود المتجمعة في عيد العنصرة، أو بصورة أخرى: العالم كما يبدو من أورشليم.

صرّة العالم

إن اعتبار أورشليم كمركز العالم المسكون فكرة عبر عنها الفكر اليهودي في ذلك الزمان: فالمدينة المقدسة كانت تعتبر صرّة العالم، أو كالحبل السرّي الذي يصل الأرض بالسماء. وانطلاقاً من هذه الفكرة، صَوَّرت اللوحات التي وُجدت في مجمع دورا آروبوس السورية، جبل الزيتون على شكل صرّة، تقرأ من خلالها عبارات حزقيال (٣٧:١-١٤). ولكن هناك فرقاً شاسعاً بين هذه الفكرة والفكر الذي يحمله كتاب أعمال الرسل: فبينما تتوقع العقيدة اليهودية تهافت الأمم نحو المدينة المقدسة، في نهاية العالم، يقدم لوقا رسالةً، قاعدةُ انطلاقها من المركز أي من أورشليم، ومن هنا تنفتح على عموم العالم.

لقد تناول لوقا مجموعة من الشعوب ودمجها في نصه، واسترسل كثيرون حول مصدر هذا الجرد. إن "لائحة الشعوب" هذه تشكل نوعاً أدبياً معروفاً في العالم القديم، لاسيما في الأدب الراقي. ونجد مثل هذا النموذج في التوراة العبرية (تكوين ١٠: ٢-٣١)، كما نجده في الأدب اليهودي (كتاب اليوبيلات، فينسون الإسكندري). وكذلك نجده عند المؤرخين اليونان والرومان (بولس الإسكندري، آريانوس، كورنيوس، روفوس، كزينوفون). إنه يعكس رؤية ما للعالم؛ ولكن أي

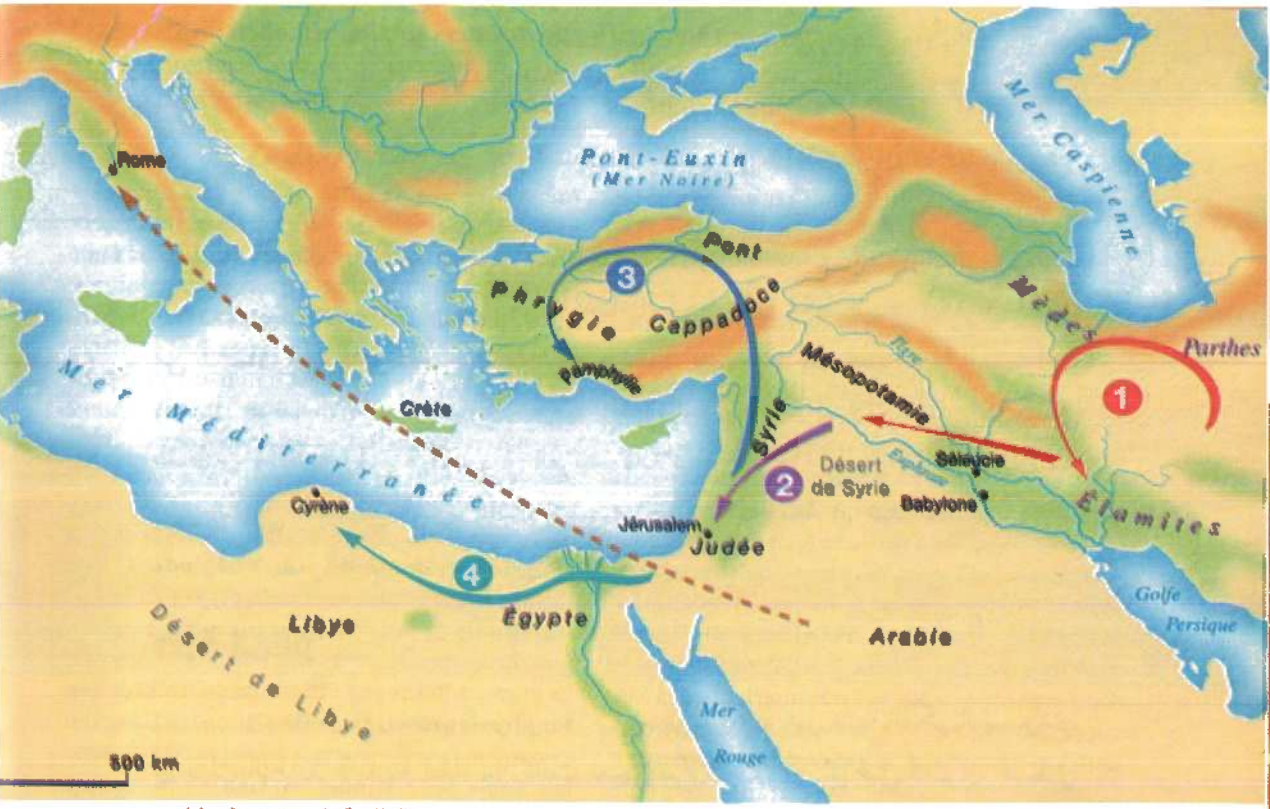

العالم كما تراه من اورشليم

عالم؟ فهذه اللائحة لا تتفق مع كامل مساحة الإمبراطورية الرومانية، إذ إنها لا تشير إلا إلى قسمها الشرقي. وقد رأى فيها البعض أوجه قربى مع خارطة مؤرخي حقبة الديادوك، وهم الذين خلفوا الإسكندر الكبير في القرن الرابع ق م. وقد تخيل آخرون أن اختيار الأسماء يجد معناه مرتبطاً بالأبراج الاثني عشر، وتساءل المحللون إذا ما كانت اللائحة تتطابق مع لائحة بلدان الشتات اليهودي في القرن الأول.

تبقى النظرية الأوفر حظاً أننا نحصل على خارطة الرسالة المسيحية في أنطاكية. وإذا ما تأكدت هذه النظرية، فسنكون إزاء وثيقة تشير إلى مسار مبكر جداً لتبشير الشرق بالإنجيل. ولو تم ذلك، تكون هذه الوثيقة قد سبقت الكتابات المسيحية المنحولة التي تحدثت عن دخول الإنجيل في منطقة الهلال الخصيب (سوريا الشرقية والعراق). ويؤرخ هذا الدخول منذ الخمسينات للتاريخ الميلادي، أي عشرين سنة بعد موت يسوع.

حقول تبشيرية أخرى

بقلم لوسيان لكران
كاهن من جمعية الرسالات الخارجية – باريس. إختصاصي في تفسير الكتاب المقدس.
أستاذ متقاعد في كلية اللاهوت التابعة لمعهد مار بطرس الكهنوتي في بنكالور (الهند).

بعد يسوع الناصري، يظهر بولس الطرسوسي كشخصية مهيمنة في العهد الجديد. وطالما تكشف التبشير الرسولي في قصص الحملات اللاهبة التي قام بها بولس "الرسول"، والتي تعكس غيرته التبشيرية. ومع ذلك لا يسعنا أن نقلص انتشار المسيحية في القرن الأول إلى الحقل الذي كان مسرح بشارة بولس وحده، أي الساحل الشرقي والشمالي للبحر الأبيض المتوسط.

القديس بطرس (ماسكا الفاتيح، وهي أحد رموزه)، والقديس بولس (ماسكا السيف وهو أحد رموزه التقليدية، اشارة إلى تعليمه النافذ، ودلالة إلى استشهاده. كما يعتبر بولس شفيع المبشرين أيضاً).
لوحة من القرن 12، على واجهة مذبح فيش (أسبانيا)/(التحف الأسقفي). وقد وضع مجمع أورشليم التقسيم التالي للرسالة: حصة بولس: العالم الوثني في الغرب الأوربي؛ وحصة بطرس والآخرين: المناطق المتأثرة بالنفوذ الفكري اليهودي.

لا أحد ينكر غيرة بولس وقوة شخصية "رسول الأمم". ولكن ذلك لا ينفي الغموض الذي يكتنف هذا "العنوان"، أو على الأقل يستدعي تفسيراً واضحاً. فعبارة "الأمم" لا تعني بالضرورة كافة شعوب الأرض. وينبغي أخذ الكلمة بمعناها الكتابي "غوييم" التي تعني "الوثنيين غير اليهود". ففي الواقع لم يمتد الحقل التبشيري لبولس إلى كل العالم المعروف آنذاك، بل لم يغطِّ سوى الساحل الشرقي والشمالي لحوض البحر الأبيض المتوسط، وترك أفريقيا جانباً في الطرف الآخر، ابتداء من مصر إلى ليبيا والقيروان وأفريقيا الفينيقية؛ وآسيا ابتداء من سوريا الداخلية إلى بلاد ما بين النهرين، وأرمينيا، وبلاد فارس، وما وراءها من الأقطار. والحال أن خريطة العالم في الفكر اليوناني – الروماني كانت أوسع بكثير من سواحل البحر الأبيض المتوسط. فلقد فتح الإسكندر العالم اليوناني إلى الآفاق الآسيوية منذ زمن بعيد. وكانت أنطاكية سوريا قد أصبحت، منذ تقسيم إمبراطوريته، عاصمة أرض آسيوية داخلية قد امتدت، في بدايتها، حتى شواطئ الهندوس. وبالرغم من غزوات الفرثيين والأرمن التي قلعت هذه الإمبراطورية، فقد بقيت منها مساحات شاسعة وعلاقات تجارية واسعة مع آسيا الوسطى. وكان هذا التبادل التجاري يتم عبر مراكز مهمة ومعروفة، مثل تدمر، ودورا آروبوس، وسلوقية (سلمان باك في العراق) على دجلة، هذه المدينة التي كانت تعد، على حدّ قولهم، نحو ٦٠٠٠٠٠ نفس، وكانت مفتاحاً إلى ميديا وإلى الممالك اليونانية/الفارسية والهندو/فارسية.

وتجد صدى اتساع هذه الخارطة للعالم اليوناني/الروماني في الأعمال المنحوتة للإمبراطور أوغسطس في روما، وفي أماكن عديدة من إمبراطوريته، وهي مضمومة في ما يدعى "أعمال أوغسطس الإلهي". وكانت نظرة العهد القديم بهذا الاتساع نفسه، حيث تعكس "لائحة الأمم" في سفر التكوين (ف ١٠)"المعارف الجغرافية والاتنية لليهود في القرن السادس قبل الميلاد على شكل شجرة أنساب". وتتجاوز هذه اللائحة إطار البحر الأبيض المتوسط (يافت) بكثير، لتعانق الجزيرة العربية جنوباً، ومصر والحبشة (حام)، وآشور شرقاً، وبابل، وسومر، وعيلام (سام). كما كان نظر الأنبياء أيضاً يتجه بعيداً جداً. فينادي أشعيا الجزيرة العربية (٢١:١٣-١٥)، والنوبيين في السودان (١٨:١-٧)، ويصف المصريين بعبارات متميزة (١٩: ١-١٥). كما أنه يخاطب آشور أيضاً (١٤:٢٤-٢٧)، وبابل (١٤:٣-٢٣).

وسيلتحم تاريخ إسرائيل قريباً مع ميديا وفارس. وكانت سفن أوفير تأتي من أفريقيا الشرقية، ولربما من الهند نفسها. على كل حال كان المشهد الجغرافي، في سفر أستير، يمتد "من الهند إلى الحبشة" (١:١).

عالم الشتات

حقل للعمل الرسولي

من النافل القول بأن تبشير بولس لم يكن ليغطي هذه المساحة الشاسعة، وبان مشروعه الرسولي باتجاه اسبانيا قد أدار ظهره تماماً للشرق والجنوب، إذ كانت اسبانيا تعد نهاية أرض المغرب.

لا يُعقَلْ أن يجهل بولس وجود هذه المحاور الجغرافية الأخرى. فبصفته مواطناً رومانياً، نشأ على الثقافة الهللينية، وكيهودي متشبع من التوراة، كان لا بد أن تنفتح آفاقه ولا تتوقف عند حدود الغرب، كما ذكرها الجغرافيون الاسكندرانيون، وكما ذكرتها التوراة نفسها. ومن المستحيل تماماً أن يجهل يهودي طرسوسي وجود الإسكندرية وبابل. فإذا ترك بولس شرق العالم وجنوبه، وهو على علم بهما، لا يمكن أن يكون قد فعل ذلك عن إهمال، أو جهل، أو عناد، وإنما لأنه رأى أن ذلك يخرج عن نطاق اختصاصه. وهذا يعني أن حقلاً آخر للتبشير كان خارج المهمة المسندة إلى بولس. وفي هذا الاتجاه نفهم القرار المتخذ في مجمع أورشليم، والذي تصدي له الرسالة إلى الغلاطيين في ٢:٧-٩: **"فرأوا أنه عُهد إليّ تبشير القلف، كما عهد إلى بطرس تبشير المختونين... ولما عرف يعقوب وكيفا ويوحنا، وهم يحسبون أعمدة الكنيسة، ما أعطيت من نعمة، مدّوا إليّ وإلى برنابا يد المشاركة، فنذهب نحن إلى الوثنيين وهم إلى المختونين"**. غالباً ما ظن الشراح أن بطرس اختص لنفسه فلسطين، كأرض يهودية وحيدة، تاركاً بقية العالم لبولس: تلك صورة بائسة للمعنى الرسولي لعبارة الأعمدة، علاوة على كون هذه الصورة مغايرة لمعطيات الكتاب المقدس، حيث سنجد بطرس في أنطاكية، خلافاً لما جاء عن كيفا بحسب الرسالة الى غلاطية (٢:١١-١٤)، كما في روما حيث مات شهيداً، استناداً إلى تقليد قوي جداً.

كما أن عالم الختان لا يتحدد في فلسطين وحدها، بل ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار عالم الشتات الذي لا يجوز إهماله أبداً. وكانت الإمبراطورية الفرثية تضم زهاء مليون يهودي، وعدداً مماثلاً تقريباً في مصر من مجموع ٧ ملايين. ففي مدينة الإسكندرية وحدها كان اليهود يحتلون اثنين من أحياء المدينة الخمسة، أي ما يعادل ثلثاً معقولاً من السكان. ولكن الأمر يتعدى كونه مجرد عدد رقمي. فالتوراة والثقافة اليهودية كانتا قد تغلغلتا في آسيا وأفريقيا عبر جماعات الشتات هذه. وتشهد على ذلك خلاصة النقاش التي أعلنها يعقوب في أورشليم: "**إن لموسى منذ الأجيال القديمة دعاة في كل مدينة، فهو يقرأ كل سبت في الجامع**" (أعمال ١٥: ٢١). وفي رسالة بعث بها إلى الإمبراطور كاليغولا، وسردها فيلون، أعلن الملك اليهودي أغريبا باعتزاز، قائلاً: "ان أورشليم[...] وطنه، ليست عاصمة أرض اليهودية حسب، بل عاصمة معظم المناطق الأخرى، وذلك بسبب الجاليات التي انطلقت منها على مرّ العهود إلى الأقطار المجاورة: مصر، وفينيقية، وسورية[...] وإلى أقاصي البنطس[...] ناهيك عن الجاليات التي ما وراء الفرات" (الإرساليات ٢٨١ وما يتبع).

بولس يحاجج مثقفين يهوداً.
لوحة مذهبة ١١٨٠ — ١١٨٥. لندن. متحف فكتوريا والبير.

كان الحضور الإسرائيلي وتأثيره أكثر عمقاً في أوربا، على الأقل قبل تشتت سكان اليهودية في سائر أراضي الإمبراطورية الرومانية، على أثر مأساة الحرب اليهودية سنة ٧٠. فلقد أحصى الإمبراطور قلوديوس حوالي سبعة ملايين يهودي في أراضيه قبل تلك الحرب، وكان يسكن معظمهم القسم الشرقي للإمبراطورية. كتب أندريه بول في (عالم اليهود في زمن يسوع، ١٩٨١): "كانت الجماعات اليهودية في الشتات تتجمع حول محورين أساسيين: الأول غربي: مع مصر والقيروان؛ والثاني شرقي: مع سوريا وما بين النهرين (ويضاف إلى هذا المحور خط شمالي في آسيا الصغرى والجزر اليونانية). أما خارج روما، حيث كان عدد اليهود كبيراً، فكان الاحتكاك مع اليهود ضعيفاً في باقي أوربا. يذكر كتاب أعمال الرسل بضعة "مجامع" على الجبهة الشرقية للبحر المتوسط، وفي فيليبي نفسها التي تعتبر "المدينة الرئيسة في إقليم مقدونية"، لا يوجد أكثر من بضع نسوة اجتمعن عند مجرى ماء (أعمال ١٦: ١٢-١٣). وهكذا كانت أوربا، مقارنة بآسيا وأفريقيا، أرضاً وثنية في أعين مؤمني التوراة. فباستثناء روما، كان حظهم ضئيلاً في إيجاد أتباع لديانتهم على أرض يافث.

على هذه الخلفية ينبغي أن نفهم معنى تقسيم العائدية الجغرافية التي عرضت في أورشليم: لبولس العالم الوثني الغربي الأوربي، أرض الغوييم، أي الأمم غير المختونة؛ ولبطرس وللآخرين عالم الختان، أي المناطق الواقعة تحت التأثير اليهودي. لا ينبغي، اذن، النظر إلى الصلاحيات المعروضة في أورشليم في بعدها الشخصي، وكأن بولس لم يكن له الحق في التحدث إلى اليهود، علماً بأن كتاب أعمال الرسل ذاته يخالف هذا الرأي. فالموضوع متصل، إذن، من وجهة نظر يهودية، بتقسيم ثقافي بين مجال لم يكن بعد منفتحاً للتأثير التوراتي، وآخر كان منفتحاً بفضل حضور يهودي غزير. مهما كان من أمر، فالواقع يقول بأن ثمة مناطق أخرى كانت مفتوحة لانتشار الإيمان المسيحي غير التي غطّتها غيرة بولس. واننا نضيف فقط أن المجال المتأثر بالتوراة، أي عالم "الختان"، كان الأهم من وجهة نظر يهودية، كما كان من وجهة نظر الكنيسة أيضاً في عهد الرسل. ففي الذاكرة التبشيرية، كما يشير نص غلاطية ٢، لم تنسب حصة الأسد، أو "النصيب الأفضل" إلى بولس، بل إلى كيفا و "الأعمدة".

ورشة تنغلم

كانت الكنيسة حاضرة في ما يشكل اليوم شمال أفغانستان منذ أواخر القرن الثاني. علماً بأن الإهتداءات المهمة في صفوف المدن، في آسيا الوسطى، تعود إلى القرن الخامس. وفي نهاية القرن السابع وصل المبشرون الفرس إلى "نهاية العالم"، أي بلاد الصين في عهد السلالة التانغية (راجع مجلة "عالم الكتاب المقدس"، أيار - حزيران ١٩٩٩: "التوراة وآسيا"). لم يكن ذلك حتماً نتيجة ولادة ذاتية من القرون الأولى. فالأعمال المنحولة تتوسع كثيراً –بل أكثر من اللازم– حول المنجزات الرسولية للاثني عشر وتلاميذهم في كل بقاع الدنيا. أما الكتابات القانونية، فهي بالعكس شحيحة –ولربما شحيحة جداً– حول هذا الموضوع.

فالمنظر العام لكنائس المشرق حتى العام الألف، (وقد ورد في ملحق العدد نفسه من مجلة "عالم الكتاب المقدس") يبقى مبهماً حول القرن الأول، ولا يتضمن إلا مرجعاً كتابياً واحداً (أعمال ١١: ٢٦). فعلينا الآن أن ننصرف إلى استكشاف المعلومات الواردة في العهد الجديد حول المَدَيات التبشيرية التي تمت خارج الحقل البولسي. فشخصية بولس الطاغية لا ينبغي أن تعتم على بقية الحملات التبشيرية للرسل. وإلا لتحقق المثل القائل أن الشجرة قد تخفي غابة. وفي الواقع ثمة غابة كاملة تختفي وراء بعض النصوص. فهناك نقاط استرسال مبعثرة كثيرة في العهد الجديد، توحي لنا بوجود محاور أخرى منفتحة غير التي استهدفها رسول الأمم الغوييم. ولقد

حادي على ظهر جمله. تمثال صغير صيني من عهد السلالة التانغية (٦١٨-٩٠٧)، من الفخار المشوي المطلي. باريس: متحف الفنون الآسيوية – غيميه.

لاحظ بعض الشراح أن اللائحة الجغرافية المذكورة في كتاب الأعمال ٢:٩-١٠ تعطي مساحات لم يذهب إليها بولس. وفي أعمال ١٨:٢٤-٢٨ يضع المؤلف أبولّوس على المسرح، وقد ظهر بغتة قادماً من الإسكندرية، وفي ٨:٢٩-٤٠ يذكر رسالة فيلبس في صلة مع الحبشة البعيدة. كما تذكر رسالة بطرس الأولى مناطق لا تتفق ومخطط أسفار بولس (١ بطرس ١:١؛ ٥:١٣). وهناك الجماعة أو الجماعات اليوحنانية أيضاً، إذ من غير المعقول، مهما قالوا، أن ننكر الدينامية المسيحية لدى الجماعات المنبعثة من تعليم "التلميذ الحبيب". كما توحي رسالة يهوذا بوجود أوساط يهودية رؤيوية، وتشير الرسالة إل العبرانيين إلى أوساط أخرى يهودية أو متهودة، قريبة من الجو الفكري الرمزي الهلليني.

لقد وصف ريمون براون التعددية الكنسية في العهد الرسولي وما بعد الرسولي، فذكر التيارات المختلفة التي رشحت ما بعد بولس، لدى الجماعات اليوحنانية، وجماعات متى اليهودية-المسيحية، والتيار المرقسي[1]. قد يكون من المفيد توسيع هذا التفكير لإضافة تأثيرات أخرى أيضاً، مثل تأثيرات بطرس وتوما، والتطرق إلى الجوانب التبشيرية لهذه الحركات. ونتساءل: ماذا كانت منهجية كيفا، وأساليب التبشير في الأوساط المتهودة؟ إننا لا نعرف شيئاً يذكر عنها.

الحادي وجمله المحمّل، على نصب مأتمي سوري. متحف تدمر (سوريا).
كان التبادل التجاري، وحتى الثقافي، يتم مع آسيا الوسطى عن طريق مراكز تجارية كبرى مثل تدمر والحضر.

بوسعنا أن نفترض بأن هذا التقدم نحو آسيا وأفريقيا، حمله

(١) أنظر كتاب "الكنيسة التي ورثناها عن الرسل". ترجمة المطران جرجس القس موسى، سلسلة ابحاث كتابية، بيبليا للنشر، ٢٠٠٥، ص ٢١-٣٣ (المعرب).

أهل الشتات اليهودي-المسيحي في نمط يختلف عن الأساليب البولسية، وكان أقل فرضاً وتفرداً، بل بالأحرى كان متعاطفاً مع تيارات الشتات الموسومة بالعلاقات العائلية والاجتماعية والاقتصادية والمهنية والتجارية والدينية. نمط يبتعد عن أسلوب "الاقتناص" ويدخل في نموذج القنوات العلائقية الشخصية والعشائرية وفي نسيج الحلقات المهنية والنقابية. ويضعنا هذا الافتراض أمام حقل واسع ينفتح على رؤى جديدة تبشيرية وجغرافية وتاريخية، تتخطى الأطر الضيقة لفلسطين والغرب.

يجب أن تتسع قراءة العهد الجديد لتضم الأبعاد الكاملة للعالم الذي خرجت منه، لذا ينبغي أن تتعدى حدود حوض البحر الأبيض المتوسط... فبُعد الشمولية في العهد الجديد يحرر فكرتنا عن تصور واقع التبشير. لقد طغت نزعة التوقف لدى النموذج البولسي، الذي خضع بدوره لنماذج الاندفاع التبشيري من خلال عدسة الرؤية المسيحية الغربية.. لقد اتسمت غيرة بولس ببعد ديني كبير، لا محالة، ولكنه لا يحتكر كمال الروح لنفسه. وعلينا أن نستكشف معاني التوجهات الرسولية لدى يوحنا وبطرس، وهذا من اختصاص علماء التفسير الكتابي، لكي يواصلوا تمحيص هذا الثراء الجماعي.

أعمال أغسطس الإلهي

لقد نحتت أعمال الإمبراطور أغسطس في عدة أماكن من إمبراطوريته:

"تنفيذاً لأوامري ووفقاً لإرادتي أرسلت جيشين إلى الحبشة وإلى الجزيرة العربية التي تعرف "بالسعيدة"... وفي الحبشة وصلنا إلى مدينة نبطة القريبة من ميرودة (العاصمة القديمة لنوبة). وفي الجزيرة العربية تقدم الجيش حتى أراضي سبأ، نحو مدينة مريبة (مريبو في اليمن). وألحقت مصر بإمبراطورية الشعب الروماني. أما في ما يخص أرمينيا الكبرى، فكان بوسعي جعلها إقليماً لولا وفاة ملكها أرتاكس. وفضلت، على مثال قدمائنا، تسليم هذه المملكة بيد ديكران[...] وأرغمت الفرثيون إلى إعادة الرفات والبيارق وطلب صداقة الشعب الروماني[...] وأرسلت إليّ سفارات من ملوك الهند تكراراً[...] وتهافت إلى صداقتنا كل من الباستارنيين والسيثيين وملوك السارماتيين الذين يعيشون على جانبي نهر التانايس (الهبة)[...] والتمس ودي ملوك الفرثيين والميديين[...] وأرسلت إليّ شعوب الفرثيين وفادات[...] ".

"المرسلون بعيداً"

بقلم: ماري - فرانسواز باسليز
أستاذة التاريخ القديم - جامعة باريس - هال دي مارن

إن كلمة الرسول تعني "المرسل بعيداً". وبين سياق السير وسياق الجغرافية قامت حركة نشطة في الكنائس القديمة لصياغة تقاليد وقصص للتعريف بالوجوه الرسولية الكبرى التي ينسب إليها نشر الإنجيل حتى أقاصي الشرق. وقد ظهرت هذه القصص كتابة منذ أواخر القرن الثاني، ونشرت تحت عنوان الأعمال المنحولة للرسل.

القديس يعقوب الكبير، والإنجيلي يوحنا، والقديس بولس، والقديس أوتروب يتلقون رسالتهم. جدارية كنيسة مار يوحنا في أوريني، في منطقة الجيروندا (فرنسا)، القرن ١٤.

الرسول توما: موزائيك بيزنطية من القرن ٥ في المعبد الأسقفي في راڤين-ايطاليا.

تكتفي الكتب القانونية في ذكر وعظ بطرس وفيلبس في فلسطين، وترسم طريق بولس نحو روما، مع الإيحاء بآفاق رسولية أوسع وأكثر تنوعاً. غير أن الأعمال المنحولة هي التي تتطرق إلى مفهوم الرسول المرسل للتبشير إلى كل شعوب الأرض، لاسيما إلى شعوب المشرق. وفيما تكون هذه الكتابات حصيلة تقاليد محلية عن أصل الكنائس، فهي تعكس على كل حال تنوع اللغات والثقافات في الشرق الروماني، ومنها اليونانية، والسريانية، والقبطية، والحبشية...

وفي وقت مبكر جداً فرضت نفسها خمسةُ وجوه بارزة من الرسل المبشرين وهم: بطرس، بولس، يوحنا، أندراوس، وتوما، ثم أضيف إليهم فيلبس لاحقاً. لم تختلف التقاليد أبداً بالنسبة للثلاثة الأوائل، مما يتيح لنا التحقق من محاور رسالتهم، وإن لم نستطع رسم مخطط مسيرتهم بدقة. فيبدو بطرس رسول روما؛ وإذا ما دققنا في الرسالة الأولى المنسوبة إليه، والمرسلة من روما إلى الجماعات التي أنشأها في العالم اليوناني، يبدو أنه مرّ في هضبة آسيا الصغرى، ثم اجتاز البلقان. أما في ما يخص بولس، فقد تركز نشاطه في مراكز العالم اليوناني القديم، وقد أصبحت عواصم إقليمية رومانية (مثل فيلبي، قورنتس، أفسس). وفي أفسس أيضاً، ينسب التقليد ألآبائي الراسخ وعظ يوحنا، أي انه بشر في قلب آسيا الصغرى اليونانية.

وإلى جانب رسل العالم اليوناني-الروماني هؤلاء، يظهر أندراوس وتوما كمغامرين ومستكشفين تغلغلا في تبشير الأمصار البعيدة. وهنا تأخذ التقاليد في

الاختلاف. ففي ما يخص أندراوس مثلاً، يبقى حقل عمله في أقطار الشمال، ولكن البعض يجعلون رسالته في عالم السيثيين البربر (أي في فيافي روسيا الجنوبية)، بينما تحدد الأعمال اليونانية رسالته في أطراف البحر الأسود الهيللينية، شمال المنطقة التبشيرية البولسية، ثم في غرب اليونان، حول منطقة بتراس. أما توما فقد نسب إليه المشروع الشرقي؛ وبحسب تقليدين مختلفين يكون قد سلك أحد الطريقين التاليين: إما أن يكون توما رسول الفرثيين، بحسب التقليد الاول أي رسول الإمبراطورية الشرق أوسطية، شرق الفرات، أي الإمبراطورية الجارة والعدوّة التقليدية للإمبراطورية الرومانية؛ وإما أن يكون رسول "الهند العليا"، بحسب التقليد الثاني، أي هذا الرسول الذي بلغ الحدود الشرقية القصوى للعالم المعروف آنذاك. ومعنى ذلك أن رسالته ليست مجرد رسالة في الأطراف.

لهذه التقاليد أساس في التاريخ، ويمكن ربطها بقرائن وثائقية. فمدينة ميرميكيون أو ميرميدون التي تذكرها "أعمال أندراوس" كقاعدة رسولية لتبشيره، مثلا، قد حدد موقعها في كريميا الحالية. وكذلك تضع "أعمال توما" في نصها السرياني الرسول توما في صلة مع ملك يدعى كوندافوروس أو كودافيرا، وهو شخصية تاريخية وجدت نقود مصكوكة باسمه في باكستان الحالية. ومع ذلك يتضح أن إدخال هذه المذكرات ضمن بيئة شمولية لرسالة الرسل هو محاولة واضحة لإعادة تركيب الأحداث، ويدخل هذا الأسلوب في نطاق الأطر الفكرية اليونانية لبناء المحاور العرقية المفترضة.

أما بالنسبة إلى كتّاب السير، فكل مشروع تبشيري أو متصل بالفتوحات يبنى ويرتفع في علاقة بين المركز والأطراف، وكلاهما يحملان شحنة قوية من الرمزية: فالرغبة في المضي إلى آخر الدنيا، هي تعبير عن حاجة الإنسان إلى المضي إلى آخر حدوده الذاتية، باعتبار السفر ضرباً من اختبار الذات والمقاسمة، وهذا ما شعر به بولس عندما خطط لرحلته إلى اسبانيا. وهكذا تعبّر قصص الرحلات الخطيرة في "الأعمال المنحولة" عن محتوى لاهوتي مفاده الثقة اللامحدودة بالمسيح الحاضر دائماً إلى جانب الرسول.

ولقد تصور المؤرخون المسيحيون الأوائل، في إتباعهم النماذج اليونانية في الكتابة، حركة التبشير الرسولي على هيئة حلقات مركزية تنطلق من الأقرب إلى

الأبعد، ومن المعلوم إلى المجهول: فحققوا البشرى بادئ ذي بدء، انطلاقاً من قلب العالم اليوناني-الروماني (على يد بطرس وبولس ويوحنا)، وصولاً إلى الأطراف البربرية، الشمالية والشرقية (على يد أندراوس وتوما). وفي وقت لاحق، ظهرت تقاليد أكثر حداثة، فمزجت السيرة مع الخوارق، ودفعت بالرسل إلى أبعد من الحدود البربرية، فأوصلتهم إلى بلاد الغرائب حيث أكلة لحوم البشر، ونسبت تحقيق ذلك إلى متى وأندراوس وحتى بطرس.

ومع ذلك لم تعانق تلك التقاليد كافة المحاور الممكنة. حيث لم يُبدِ أي تقليد اهتماماً بغرب البحر الأبيض المتوسط؛ والأغرب من هذا أن مصر نفسها لم يُنَسَّب لها رسول كبير. والحبشة ذاتها، التي بدت جزءاً من الحقل الرسولي في بداية الكنيسة، من خلال اهتداء الخصي الحبشي على يد فيلبس، تختفي من نصوص سير القديسين والتاريخ عند المؤرخين المسيحيين حتى القرن السادس، في حين تستمر "الأعمال المنحولة" على اعتبار الأحباش، ذوي اللون الأسود، رمزاً للشيطان! قد يكون من المفيد أن نعود إلى الأحداث الواقعية: فالحبشة لم يُحسَب لها حساب إبان الإمبراطورية الرومانية القديمة إلا عندما توجهت الأنظار لاحتلالها، لاسيما في عهد نيرون، أي في زمن قريب من كتابة أعمال الرسل. ولكن مهما قلّصت هذه الجغرافيا المقدسة من شأن الموضوع، فهي تكشف لنا بصورة غير مباشرة عن مراكز الاندفاع التبشيري المسيحي في الشرق. ففي سبيل وضع تصور لمشروع رسولي باتجاه البارثيين، في شرق سوريا، من جهة؛ وباتجاه السكوتيين شمالاً؛ وباتجاه آسيا الصغرى غرباً، كان من الطبيعي النظر إلى العالم ابتداء من الرها، كما يتوضح من تقليد عريق تناوله أوريجانس، اللاهوتي الرحالة الكبير في بداية القرن الثالث. فلقد كانت الرها مركزاً كبيراً للشتات الشرقي، في سوريا الشمالية، وقد جاءت الحفريات والآثار الأدبية السريانية لتثبت هذه الأهمية الثقافية للرها. أما طريق توما، كما يستدل من أعماله، فيشير إلى رحلة بحرية، في سياق العلاقات التجارية النظامية. ويوحي لنا ذلك بدور الإسكندرية في كتابة هذه الأعمال وفي مشروع تبشير الهند، معاً، لأن طريق الهند بحراً، كان يمر بقبطس، على البحر الأحمر، ليفضي منطقياً إلى الإسكندرية. وهكذا تغطي قصة حياة توما بعض ما صمت عنه التاريخ الرسمي للكنيسة.

المسالك الرسولية

إن "الأعمال المنحولة" لا تكتفي برسم مسالك الرسل، بل تنقل إلينا أحداث الظروف التي تم فيها التبشير المسيحي. عندما نضع "الأعمال المنحولة" في مقارنة مع مجمل أدب الرحلات القديم، يكون بوسعنا القول ان توما يمثل الوجه الرسولي الأكمل، كما كانت تتخيله الأجيال المسيحية الأولى. وكانت هذه الرحلات مزيجاً من الأسفار المتعددة الأهداف، حيث يجتمع عنصر استخدام الخطوط البحرية مع عنصر التجارة العالمية وسوق العبيد. ويأتي عائق اللغة الذي يشكل تحدياً، طالما يواجهه الرسول في تردده الأول من قبول الرسالة الموكلة إليه. ففي التقليد الذي ترقى إليه الرسالة الثانية إلى أهل قورنتس، وفي العديد من الكتابات الجنائزية، كثيراً ما يرد موضوع عزلة المسافر والمخاطر التي يتعرض لها باستمرار. فالاسترسال في وصف الأوساط العدائية وقصص اهتدائها، إنما وضعت للتركيز على هدف الكنائس الأولى في تحديد هوية الرسل المبشرين ومؤسسي الجماعات المسيحية وإسنادها إلى "الرجال الإلهيين" القادمين من العالم اليوناني-الروماني، هؤلاء المبشرين الذين قادهم الروح بمواهبه، فجابوا الشرق وسط المحن والمعجزات. وسيكون الرسول هذا الذي يفرض شخصيته بتحقيق النصر على جميع المخاطر، على نحو ما ينتظره الحسّ الشعبي.

إن السفر والمعجزة محوران رئيسان تدور حولهما الأعمال المنحولة، أما مفهوم الرسول المبعوث للتبشير في كل الأرض، فهي فكرة لا تظهر إلا استثناءً في العهد الجديد. فمشروع التبشير الشامل لم يبرمج غداة العنصرة. بل العكس، فإن التبشير بالإنجيل أخذ طابعاً محلياً، لأن هذه المغامرات الرسولية تعود بأجمعها إلى تقاليد محلية، هدفها أن تتيح لكل كنيسة أن تنتمي إلى وجه بارز من شخصيات الإنجيل، وتسند بذلك قدَم نشأتها وأهميتها. من هنا اختلاف النصوص والمسالك وفي نهاية الأمر، لم يتبنَّ مؤرخو الكنيسة ومنظّروها البعد العالمي لبولس، إلا اعتباراً من القرن الثالث، فانتبهوا إلى وصية التبشير الشاملة التي تختم إنجيل متى. ومذ ذاك التقطوا كل هذه التقاليد المحلية المستقلة المتواجدة سابقاً ليصوغوا نظرية تقسيم حقول الرسالة التبشيرية ضمن مشروع شمولي. فافترضوا أن الرسل اجتمعوا سوية في أورشليم لتقسيم العالم إلى اثنتي عشرة منطقة، ومن ثم ألقوا القرعة في ما بينهم لتوزيعها بينهم. لقد صيغ هذا "التقليد الكنائسي" لأول مرة على يد أوريجانس في

الإسكندرية، ثم تناوله المؤرخ أوسابيوس القيصري، وورد في كتاب "تعليم الاثني عشر"، وزوّقته بعض الأعمال المنحولة.

لم ترد في أي مصدر لائحة كاملة ومتشابهة لأسماء الاثني عشر في مناطق نفوذهم؛ مما يدعونا إلى القول بأن الهدف الأول من هذه المحاصصة لم يكن "شمول" العالم بمخطط تبشيري أوحد، بل بالأحرى إسناد بقعة معينة إلى الرسل الذين كان يرد الكلام عنهم على وجه التخصيص. وبذلك عبروا عن الحرية الكاملة في العمل والاستقلالية الإدارية لكل جماعة، وتحاشي مشكلة التداخل التي تعرض لها بولس ومعاصروه بشدة. وهكذا يتجذر مفهوم الرسول في مفارقة خصوصية الكنائس الأولى واستقلاليتها الذاتية.

طرق الشرق

معارف الشرق

لا زالت بدايات التبشير في المناطق الشرقية مبهمة. فالوثائق قليلة، ومعظمها أسطورية، وتفسيرها صعب. من جهة أخرى حال تضاؤل الجماعات المسيحية في هذه البقاع دون الحفاظ على الوثائق القديمة، حتى في منطقة أنطاكيا التي كانت إحدى حواضر الشرق الكبرى، وخاصة في الرها، جنوبي تركيا الحالية، التي أعطت لغتها وكتابتها للمسيحيين السريان. فالشعب المسيحي في هذه البقاع قد اختفى واقعياً، وذلك بسبب الاندماج، أو المذابح، أو الهجرة الجماعية، وكذلك لقلة الاهتمام الذي أبداه الغرب المعاصر لهذه الجماعات التي لا تنتمي إلى التقليد اليوناني-اللاتيني.

• **مسيحيون منذ ألفي عام**

فرانسواز بريكيل-شاتونيه

• **كنيسة مار سمعان**

جان بيير سودين

• **الاهتداءات القفقازية**

جان بيير ماهي

• **الترجمة الأرمنية للكتاب المقدس**

جان بيير ماهي

• **خصوصية كنائس الشرق المميزة**

كريستيان كانوبه

• **عندما تترجم آسيا الكتاب المقدس**

كريستيان كانوبه

الدير الجيورجي "دورت كيليسي" قرب يوسفلي في شمال شرق تركيا شيد في القرن ٩-١٠

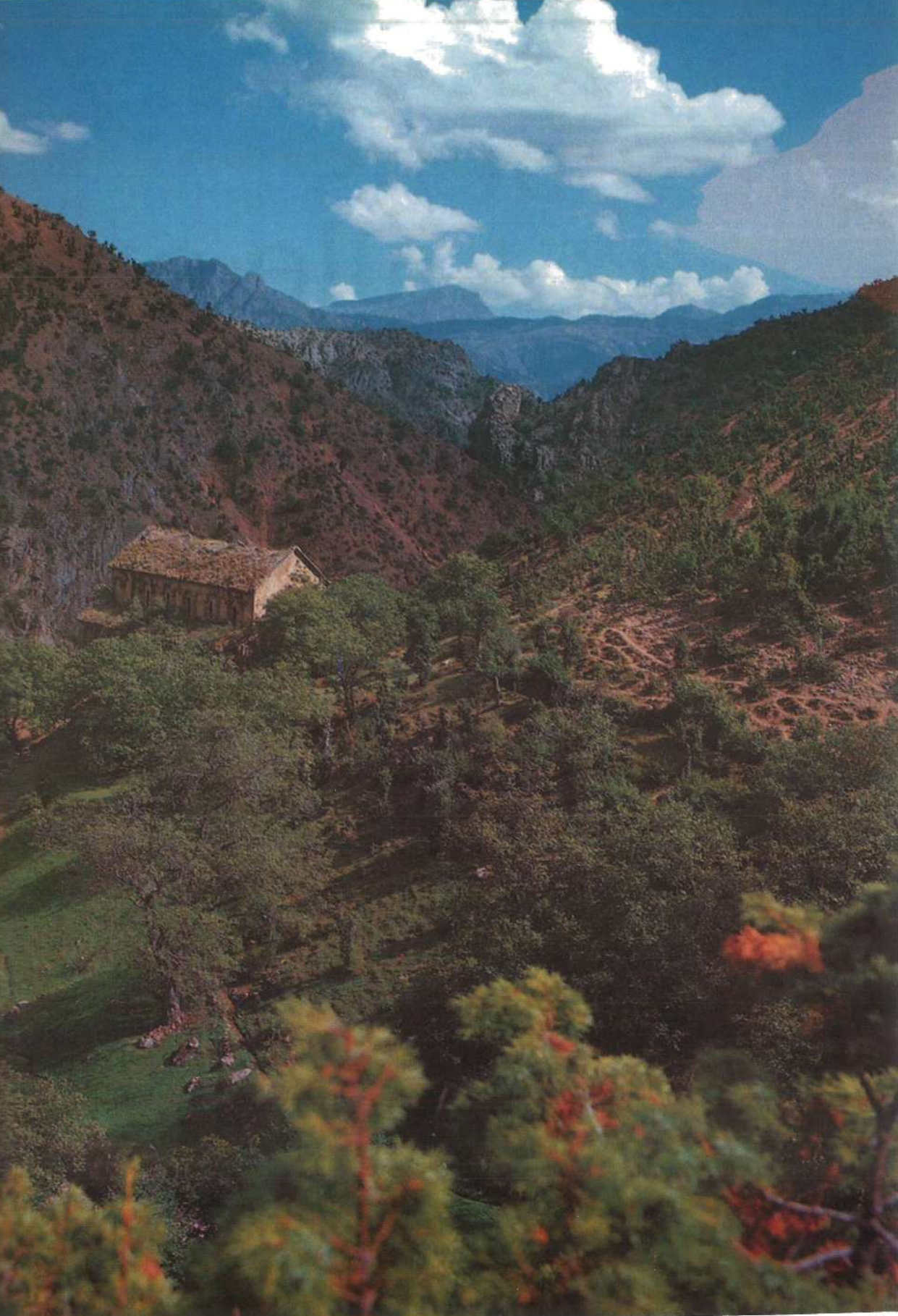

مسيحيون منذ ألفي عام

بقلم فرانسواز بريكيل-شاتونيه
مختبر الدراسات السامية القديمة
كلية فرنسا-باريس

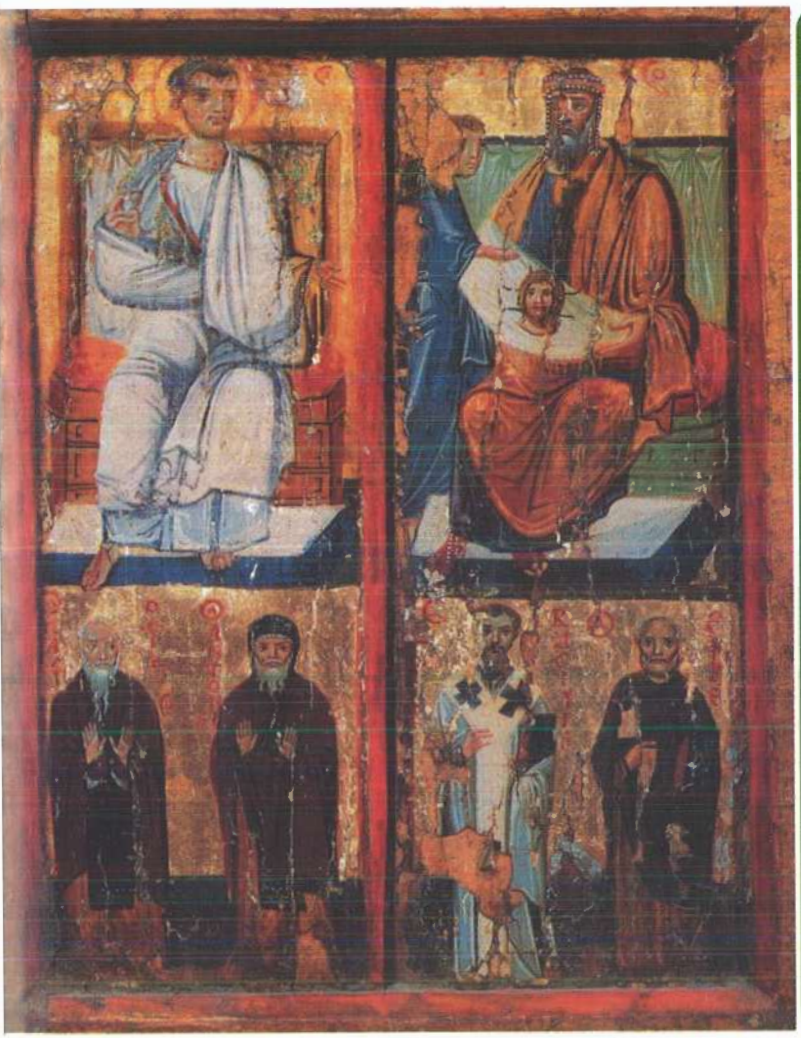

لقد وجد دوما من ادعى ريادة الرسالة المسيحية في الشرق. فقد زعمت كنيسة المشرق الرسولية دوما أنها وريثة المجوس الذين جاءوا للسجود للمسيح. وهكذا سعت كنيسة المشرق إلى ربط نفسها بشخص المسيح ذاته دون وساطة رسولية، كما تشير إلى ذلك رسالة للبطريرك طيمثاوس في القرن الثامن، حيث جاء ما يلي: إذا نسبت الأولوية والقدم إلى روما بسبب الرسول بطرس، فكم بالأحرى تعود هذه الريادة إلى سلوقية – قطيسفون بسبب رب بطرس [...]. فنحن الشرقيين أول من اعترفنا وآمنا بالمسيح [...]. فلقد كان المسيح في الثانية من عمره عندما أرسلنا إليه مبعوثين وهدايا ملوكيته".

قصة أبجر الملك والقديسين. تقول أسطورة ظهرت في القرن السادس أن أبجر، ملك الرها، تسلم منديلاً من المسيح ظهرت عليه صورة وجه يسوع بشكل عجائبي.
إيقونة خشبية (نحو سنة ٩٤٠) تعود إلى دير القديسة كاترينة في جبل سيناء، المشيّد في عهد جستنيانس.

تتجذر كنائس الشرق، وخاصة السريانية منها، في التقليد الرسولي من خلال شخصية الرسول توما والتلاميذ الذين يُزعَم أنه أرسلهم إلى الشرق.

وإذا اتبعنا سياقاً جغرافياً يكون أول هذه النصوص هو ما يسمى بـ "تعليم أدي". ويذكر هذا النص قصة دخول المسيحية إلى الرها، وهي العاصمة الثقافية للمسيحية السريانية. ويرقى هذا النص في هيئته الحالية، كما يبدو، إلى القرن الخامس، بيد أن القصة وردت عند أوسابيوس القيصري في كتابه "التاريخ الكنسي" منذ بداية القرن الرابع. و يرقى هذا التقليد بجذور المسيحية في الرها إلى ما قبل بعثة الرسل في العنصرة، حيث أن الملك أبجر الأسود (أبجر الخامس)، إذ سمع بيسوع وبمعجزاته وبالمعاكسات التي كان يصادفها، أرسل إليه رسالة بيد مبعوثيه الذين جابوا فلسطين، عارضاً عليه استعداده لاستقباله في الرها، وتقاسم الملك معه. وتقول القصة أن يسوع تسلم هذه الرسالة قبيل آلامه، فأجاب معتذراً عن تلبية الدعوة، ولكنه وعده بأن واحداً من تلاميذه سيأتيه، بعد موته وقيامته، فيشفيه ويهديه. وكان الذي وُكلت إليه هذه المهمة هو تداوس (أدي بالسريانية)، احد الاثنين والسبعين (لوقا ١٠: ١) الذي تسلم رسالته من الرسول توما، وهي أن يعمّد الملك وحاشيته. وإذا ورد الحدث، بحسب نص أوسابيوس، للتأكيد على شمولية رسالة المسيح حتى قبل قيامته، فقد تناول التقليد السرياني هذه القصة لتثبيت وجاهة كنيسة الرها بتثبيت قدَمها الذي يفوق سائر الكنائس، وكذلك من أجل التركيز على ارثوذكسيتها الكَاملة وسط تلك المساحة الجغرافية المليئة بالجدالات اللاهوتية المختلفة.

وغالباً ما اعتبر هذا النص مجرد ارتقاء في التاريخ، بنحو قرنين من الزمن، لتحديد حقبة الاهتداء الرسمي لمملكة الرها، المفترض وقوعه في عهد أبجر الكبير (١٧٧-٢١٢). ولكن لا إشارة إلى ذلك، في الواقع، البتة. كل ما في الأمر هو أن قصة الفيضان الكبير الذي حدث في الرها سنة ٢٠١، والتي حفظها "تاريخ الرها"، ونقلها عن المدونات الرسمية، تبرهن فقط على أن في المدينة، كنيسة للمسيحيين منذ سنة ٢٠١، إذ تؤكد القصة أن هذه الكنيسة قد تضررت في تلك الكارثة. وتذكر كتابة على مدفن عائد إلى أبيرشيوس، اكتشفت في فريجيا، مؤرخة في سنة ٢١٥، الرحلة التي قام بها المتوفى حتى نصيبين؛ كما تذكر أنه التقى بمسيحيين على طول

الطريق، مما يبرهن على أن المسيحية كانت منتشرة منذ ذلك الزمان في أعالي ما بين النهرين. وتشير الوثائق المحفورة في الرها، ولا سيما قطع الموزائيك الجنائزية من القرن ٣، إلى جماعة ما زالت وثنية، ولو ان إحدى قطع الموزائيك -وقد سادها وجه سيد الآلهة (زوس) وهيرا وبروميتي- ترجّع تصوير اتحاد النفس والجسد المستمد من الرسوم المسيحية فن القيامة. كما ان النصوص الأدبية من تلك الحقبة، ومن بينها مقاطع حفظها ططيانس، و"كتاب شرائع البلدان" بقلم تلامذة الفيلسوف برديصان، او رسالة مار بارسارابيون، ومن ثم كتابات مار افرام، تشهد على وجود مسيحية منقسمة إلى فرق متنوعة العقائد ومتباينة: سنكريتية وانكراتية ومرقيونية وغنوصية... بحسب أسماء مؤسسيها. ويقدم "تعليم أدي" إشارة مفيدة حول بيئة الانتشار المسيحي الأول في الرها: يترل أدي حين وصوله إلى المدينة في بيت طوبيا بن طوبيت، اليهودي من فلسطين، وثمة يهود بين مستمعيه وبين المهتدين على يده. فمن المحتمل أن تكون الجماعة المسيحية المتواجدة في المدينة قد لعبت دور الوسيط بين اليهودية الرهاوية ويهود فلسطين وجماعة حدياب. ومع ذلك يبقى موضوع الطابع اليهودي-المسيحي المنسوب إلى أقدم مسيحية رهاوية موضوع جدل.

كتابة آرامية، تكررت بالحروف السريانية على ناووس "ملكة صدنان"، متحف اللوفر.

تبشير فارس

وإلى الشرق من الرها، ينسب التقليد السرياني تبشير الإمبراطورية الفارسية إلى ماري، الذي يضعه الأدب المشرقي هو أيضاً في عداد الاثنين والسبعين تلميذاً، وقد أرسله أدي من الرها قبيل موته. وتقدم لنا "أعمال مار ماري"، التي تعود في صيغتها الحالية إلى القرن الخامس أو السادس، هذا التلميذ منطلقاً من الرها إلى نصيبين، وأرزون في أرمينيا، ثم متجولاً

في بلاد ما بين النهرين كلها، من الشمال إلى الجنوب، حتى وصل إلى ميسينا وإلى السواحل الشرقية للخليج العربي-الفارسي حيث "يتضوع عطر الرسول توما".

يشوع بن نون، خليفة موسى -مخطوطة سريانية من دير في سعرت، تركيا، القرن ٦-٨. المكتبة الوطنية الفرنسية- باريس

إنه ليصعب علينا تحديد العنصر التاريخي الذي قد تحمله هذه القصة العائدة بكل وضوح إلى أدب السير، إذ تضع على المسرح معجزات وأشفية اجترحها مار ماري في كل خطوة تخطاها. وان س.وف. جوليان أشارا إلى أن بعض التفاصيل الطوبوغرافية، لاسيما تلك التي تتحدث عن تأسيس كنيسة كوخي، المدينة المركزية لمسيحيي ما بين النهرين، قد تطابق وضعاً جغرافياً لطبيعة طبقات الأرض الصخرية، يسبق القرن الثالث، وبالتالي في عهد الإمبراطورية الفرثية. وفي هذه الحالة تكون عراقة تشييد هذه المدينة المشرقية حدثاً صحيحاً. ولكننا لا نملك أي أثر قديم لحضور مسيحي في المنطقة، ماعدا المبنى المسيحي المكتشف قرب السور الشرقي لمدينة دورا أوروبوس، الذي يرقى إلى الربع الثاني من القرن الثالث، أي إلى عهد السيطرة الرومانية.

فالمسيحية لم تنتشر حقاً في الإمبراطورية الفارسية إلا مع موجات التهجير التي قام بها شابور الأول (٢٤٠-٢٦٤) في بداية السيطرة الساسانية: فلقد جلب شابور من حملاته ضد الشرق الرومي عدداً كبيراً من الأسرى ذوي الثقافة اليونانية أو الآرامية، وشكلوا أحياناً جماعات كاملة أتى بهم شابور، فنظموا أنفسهم ضمن الإمبراطورية الفارسية. وتذكر كتابات تعود إلى النصف الثاني من القرن الثالث أن من بين أعداء الديانة المزدية المحلية ثمة جماعتين

مسيحيتين قد تكونان فريقين من المسيحيين، إلى جانب اليهود والمانويين وأتباع الديانات الهندية. ولكنه يستحيل إيضاح ما إذا كانت التسميتان المختلفتان تشيران إلى فريقين لغويين (اليوناني والآرامي)، أم إلى الجماعات المسيحية الأصلية من جهة، والجماعات الوافدة من جهة أخرى.

إن توسع تبشير محتمل للإمبراطورية الفرثية في منتصف القرن الثالث شيء صعب التأكيد، ويبقى موضوعاً مفتوحاً للنقاش. وهنا أيضاً يبقى الموضوع متصلاً بالدور الذي لعبته الجماعات اليهودية العديدة والنشطة في ما بين النهرين في ذلك الزمان، هذه الجماعات التي كانت في علاقات تجارية دائمة مع يهود فلسطين. مهما كان من أمر، فقد كانت الثقافة الآرامية هي ذاتها في كلا الجانبين من حدود الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الفارسية، وكانت حركة التبادل نشطة دوماً. فلقد اكتشف ناووس في أورشليم يحمل كتابة آرامية (انظر الصورة)، تكررت بالحروف السريانية، يعتقد أنها "للملكة صدّان"، وقد رأى البعض فيها ملكة يهودية من حدياب. فمن المحتمل، إذن، أن يكون المبشرون الأولون بالمسيحية قد لقوا ترحيباً بين صفوف الجماعات اليهودية المحلية. وهنا أيضاً يطرح السؤال الجدلي ذاته حول التأثير اليهودي، أو اليهودي-المسيحي على النصرانية المشرقية الأولى.

النبي ارميا. مخطوطة سريانية من القرن ٦-٨
من دير سعرت تركيا
المكتبة الوطنية في فرنسا. باريس

الهند كما وردت في "اعمال توما"

إن الشخصية التبشيرية الثالثة للمشرق، والأكثر شهرة ووجاهة، هي شخصية الرسول توما، ويدعوه التقليد السرياني باسم يهوذا — توما، أو توما فقط: فإذا كان الاسم الأول (يهوذا) هو اسمه الشخصي، فيكون الاسم الثاني (توما) كنية، وذلك استناداً إلى الجذر الآرامي "تأم" (= توأم)، وقد فهمه المسيحيون السريان كصفة لصاحبه. وبهذا المعنى الروحي، يصبح توما "توأم" المسيح، ومن ثم الرسول الأكبر للسر المسيحي. ومن هذا المنطلق، يدّعي الغنوصيون معرفة الأسرار الخفية، هم الذين يرقى إليهم "إنجيل توما" المنحول.

الرسول توما.
رسم جداري في كنيسة الدير القبدوقي اسكي غوموش (تركيا).
القرن ١١-١٢

من جانب آخر يذكر التقليد اليوناني، الذي نقله إلينا أوسابيوس القيصري -وقد أخذه هو نفسه عن أوريجانس- أن توما هو رسول الفرثيين. وتذكر "أعمال توما" التي يرجح انها كتبت اصلاً باللغة السريانية في الرها، في النصف الأول من القرن الثالث، أن توما قد قام برسالته في الهند. واستناد إلى هذا الأساس يتخذ مسيحيو الهند المنتمون إلى الجماعات السابقة للاستعمار البرتغالي اسم "مسيحيي مار توما".

ويبقى السؤال: ما المقصود بمفردة "الهند"؟ فلقد بقي المؤلفون السريان دوماً غير دقيقين حول محتوى هذه "المفردة"، حتى في عزّ العلاقات التجارية بين جنوب ما بين النهرين والهند، وطالما عكسوا رؤية النصوص اليونانية القديمة في كتاباتهم. فالهند هي المنطقة التي يمكن البلوغ إليها عن طريق البحر الأحمر أو عبر الخليج العربي- الفارسي، وهكذا تختلط شبه الجزيرة الهندية مع الحبشة.

بالنسبة "لأعمال توما" تظهر الهند كأرض أسطورية، تضم عالماً مألوفاً ومعروفاً لدى سكان الشرق الأدنى، عالماً يتسم بالخوارق والسحر، فيه يتكلم الحمار، وتعلن الأفعى ذنوبها... أما أسماء العلم التي تطلق على الشخصيات المعنية، فهي ذات نكهة آرامية في معظمها (التاجر حَبّان، جاد شقيق الملك، القائد شيفور، مغدونيا زوجة أحد أقارب الملك)، أو فارسية (الملك مزداي). وهناك بعض التفاصيل في ملحمة توما تبدو وكأنها وقعت في شمال شبه الجزيرة الهندية، أو بالأحرى على ساحل باكستان الحالية. كما شُخِّص الملك غودنافار على أنه غودافايرا المنتمي إلى إحدى السلالات السكوتية/الفرثية التي حكمت المنطقة- وقد تم التعرف عليه عن طريق كتابة يونانية وجدت على عملة عُثر عليها في أفغانستان، وكتابة أخرى فرثية ترقى إلى سنة ٤٥ أو ٤٦ ب م، تذكره باسم غودوحفارا. كما أن اسم مدينة صنداروق التي كانت أول مدينة وصلها توما في مطافه، يقترب من اسم الملك شاندراغوبتا، ومع ذلك ليس ثمة أي شاهد مادي يتقاطع مع نظرية هذا الانتشار المسيحي الأول في شمال الهند.

ولكن التقليد الهندي يؤكد، من جانبه، أن توما جاء إلى جنوب الهند وأسس كنيسة سواحل الملبار. فلقد أبحر من كرانغانور حيث أسس سبع كنائس في أماكن لا زالت موضوع تكريم حتى اليوم، قبل أن ينطلق إلى الساحل الشرقي من شبه الجزيرة، وينال الاستشهاد قرب مدراس. ومن هنا يكون جثمانه قد أُعيد إلى الرها، حيث يؤكد التقليد أنه كان موضوع تكريم كبير. من جانب آخر نعرف أن شبه الجزيرة الهندية كانت كلها في علاقة تجارية منتظمة مع الإمبراطورية الرومانية، منذ أوائل العصر المسيحي. وثمة قطع من العملات الرومانية والبيارق تُكتشف، بين حين وآخر، على الساحل الشرقي كما على الساحل الغربي من الهند، وقد بلغت الى هناك بلا شك عبر الطريق البحري الذي يربطها بالبحر الأحمر. وهكذا، فأنْ تكون سفينة تجارية قد حملت معها مبشراً مسيحياً إلى هذه الديار منذ القرن الأول ليست نظرية لا معقولة! ولكن الشهادة الأكثر قدما والتي لا تقبل الشك، تأتينا من قوزما إنديكوبلوستيس، من منتصف القرن السادس، إذ يذكر في كتابه عن "الطوبوغرافية المسيحية" جماعة مسيحية قائمة في طابروبان (سيلان)، ويخص بالذكر مطرانية في قاليانا (قيلون في كيرالا الحالية)، وكان أسقفها قد نال الرسامة في بلاد فارس. ويعني

ذلك ان الكنيسة تمتعت في تلك المنطقة بالأمان والنضوج الإداري؛ كما تشير هذه المرجعية الكنسية إلى علاقات منتظمة مع ما بين النهرين، عبر الطريق البحري الذي يمر بالخليج العربي/الفارسي. وتتفق هذه الشهادة مع بقايا الآثار المسيحية المكتشفة، من أسس الكنائس أو الأديرة، أو الأعمدة التي تزينها الصلبان النسطورية- وقد ازداد عدد هذه الاكتشافات في المدة الأخيرة على الساحل الغربي للخليج العربي/الفارسي، وفي جزيرة خرج الإيرانية، وترقى أقدم عناصرها لربما إلى القرن الرابع. هذا هو الطريق الجديد الذي نسب، في وقت لاحق، إلى توما، رسول الهند.

كنيسة مار سمعان

بقلم جان بيير صودييني
أستاذ علم الآثار البيزنطيه في جامعة باريس.
حديث أجرته إستيل فيلنوف

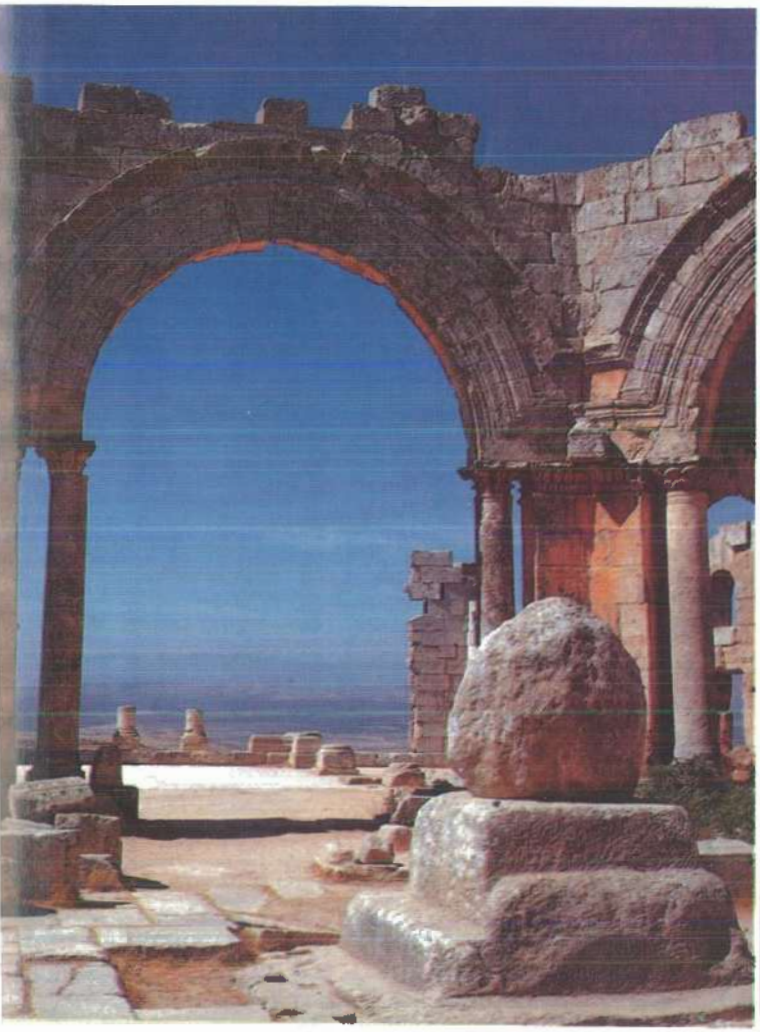

قلعة سمعان، على بعد ٤٠ كم شمال-غربي حلب هي قمة السياحة الدينية السورية. ففي هذا الطرف الشمالي للهضبة الكلسية، تنهض الحجارة الراقدة لتذكّر الزائر بروعة جمال هذا المركز الفريد للتقوى المسيحية. مركز نحته التكريم الشعبي لراهب ناسك صانع معجزات من أعلى اسطوانة حجرية. فلقد عاصر مزار مار سمعان العمودي، ولردح من الزمن، حقبة ذهبية متصلة بالسياسة الدينية والريفية التي انتهجتها الإمبراطورية في الربع الأخير من القرن الخامس.

بني مزار الشهادة على اسم مار سمعان بين عامي ٤٧٦ و ٤٩٠ حول بقايا العمود الذي عاش عليه العمودي (انظر مقدمة الصورة)، وكان أكبر صرح للعبادة المسيحية قبل تشييد كنيسة الحكمة المقدسة (آيا صوفيا) في القسطنطينية.

*** مجلة عالم الكتاب المقدس": في سوريا، في القرن الخامس، كيف ولد مزار ضخم بشهرة مزار مار سمعان؟**

– جان بيير سوديني:

مثل هذا المشروع الضخم لا يمكن إلا أن يكون عملاً إمبراطورياً. لاشك أن التصميم هو انجاز مهندسين بارعين قادمين من القسطنطينية، على الأرجح، وقد وضعوه على غرار نماذج "بيوت الشهداء" (martyrion) المشيدة في العهد القسطنطيني. لقد تطلب التصميم الذي جرت عليه تعديلات أثناء التنفيذ تحنيد إمكانات هائلة تفوق طاقة الكنائس المحلية. ولابد من افتراض تدخل الإدارة الإمبراطورية، التي لربما غرفت من الاحتياطي الخاص للإمبراطور زينون، وهو من أصل صقلي، كما كان سمعان نفسه. لاشك أن اليد العاملة أُخذت من المنطقة ذاتها، غير أن النقارين والنحاتين ذوي الكفاءة العالية، قد جاءوا حتماً من زوايا الإمبراطورية المختلفة. إذ، لَيجدر بنا التخيل بأن هذا المشروع ما هو إلا رمز لمجيء القسطنطينية ذاتها إلى أرض تيلانيسوس (وهو اسم منطقة قلعة سمعان)، وذلك بالمعنى المجازي والحقيقي، لأن المزار انعكاس رائع لحضور المدينة في وسط الريف.

*** "المجلة": ما الذي دفع إمبراطور القسطنطينية إلى الزج بنفسه في هذا المشروع الهندسي الجبار؟**

– جان بيير سوديني:

ما أن توفي سمعان سنة ٤٥٩ حتى تقاطرت جماهير الحجاج مجذوبة بقداسته، وكانت القسطنطينية على معرفة بظاهرة العموديين. وهذا يعني أن الإدارة الإمبراطورية قد رصدت "ظاهرة" سمعان من قبل. غير أن مشروع بناء مزار على اسمه لم يبصر النور إلا مع الإمبراطور زينون نفسه الذي ارتقى العرش عام ٤٧٥، وفي وقت كانت الأزمة المونوفيزية (القائلين بالطبيعة الواحدة) تمزق عرى الصلة بين مسيحيي أنطاكية؛ وزينون الذي هو في الأصل من هذه المنطقة بالذات، أراد أن يحدّ من ضغوطات الانفصاليين المحليين العاملين تحت تأثير أنطاكية.

إن مشروع تشييد مبنى على شرف قديس ولد في سوريا، يتحدث بالسريانية، ويجهل اللغة اليونانية، يبدو دعماً كبيراً للكنيسة المحلية "الوطنية" وبمثابة يد ممدودة للسياسة الإقليمية.

*** "المجلة": هل كانت ثمة مظاهر تكريم لهذا القديس في أثناء حياته؟**

– جان بيير سوديني:

نعم. يبدو من النصوص (أنظر الإطار: روايات ثلاث لحياة مار سمعان) أن شعبية القديس كانت راسخة منذ حياته. فقد اعتزل على هضبة صخرية مشرفة على منطقة تيلانيسوس، وأحاط نفسه بشبه جدار من حجارة مرصوفة تدعى ماندرا. وكان يستقبل بعض الزوار من الذكور فقط، ويمتنع عنها تماماً في فترة الصوم الكبير. وتقول النصوص، أنه مع الأيام، سئم حشود القادمين، فارتقى عموداً واستقر عليه ابتداء من عام ٤٤٤. وهناك قاعدتان محفوظتان عن هذا التقليد. ولعل القاعدة التي بني حولها "بيت الشهداء" هي قاعدة العمود الأخير الذي ارتقاه؛ وكان طول هذا العمود ٤٠ ذراعاً، أي حوالي ١٨ متراً. ولقد حقق سمعان هدفين بهذا الارتقاء: الأول أنه ابتعد هكذا عن الصخب، والثاني أنه طبق النموذج الذي حققه موسى وإيليا إذ كانا يرتقيان نحو الله بارتقائهما مرتفعاً معيناً.

مار سمعان العمودي في إيقونة يونانية من القرن ١٩. (مجموعة روجيه كابال)

أعاد المهندس أوليفييه كالوت نظام الأعمدة: فلقد كانت خشبة مسطحة تعلو ثلاثة ركائز متساندة مع بعضها ومترابطة. وكانوا يقيمون سلماً متحركاً بواسطة عتلات، فيستند على خشبة عرضانية مربوطة في السطح الأعلى. ولم يكن يتسع لأكثر من تلميذين. غير أن النصوص توحي بنشاط ديري أوسع. ولربما اختفت الأبنية التي كانت تضم الأعمدة بالتوسعات الديرية اللاحقة، في الزاوية الجنوبية الشرقية من مبنى بيت الشهداء ذي الشكل المصلّب.

أما في ما يخص الحجاج، فلم يكن ثمة طقوس منظمة لاستقبالهم، ولا لتنظيم مراسيم تكريم القديس، لا إبان حياته، ولا بعد موته عام ٤٥٩. وبإمكاننا تصور الحج قبل بناء المزار بحشود جماهيرية شبيهة بهذه الحلقات الشعبية التي تقام حول الطعام في الهواء الطلق[1]. أما "الفندقان" المعروفان في القرية، فلم يتم بناؤهما سوى

(١) كما هو جار حتى الآن عبر المخيمات في العراء حول الأديرة في الشرق –الشيرا– (المترجم)

في عام ٤٧٠. ولاشك أن تذكارات كانت توزّع على شكل صور تقوية، أو أقراص خزفية مختومة يدوياً في قوالب جاهزة.

*** "المجلة": هل يعني ذلك أن بناء المزار أتاح ظهور طقوس رسمية منظمة لضبط التقوى الشعبية؟**

– جان بيير سوديني:

نعم. إذ ان الدافع إلى الحج يبقى التأمل في العمود، كما كان الأمر في زمان القديس، وإن هندسة مجمّع بيت الشهداء هي بشكل يجعل العمود في النقطة المركزية. فالعمود يقوم في وسط الشكل الثماني، يعلوه سقف في ملتقى الكنائس البازيليكية الأربع، وفي محور بيت المعمودية تقريباً. أما الطقس الليتورجي للحج، فليس سوى مرحلة من مراحل المراسيم التقوية الأخرى. ولقد أقيمت أجنحة المزار كي تتوافق مع حركة الأنشطة التي تجري في سياق الاحتفال العام، وبالانسجام مع مراحل التطوافات المختلفة وتصاعد الحمى الجماهيرية الدينية. ويمكننا أن نرى في هذا الترتيب صدى لرغبة القسطنطينية في "احتواء" التقوى الشعبية بضمّها إلى سياق ليتورجي أكثر شمولية. فالمؤمن يبدأ مسيرته انطلاقاً من المدخل باتجاه الكنيسة الشرقية، مروراً ببيت المعمودية والعمود، وهكذا يسلك درب التنشئة الإيمانية التي تقوده من العماذ، إذا كان موعوظاً، إلى الافخارستيا، تحت رعاية القديس.

*** "المجلة": كيف كان الحال واقعياً، بالنسبة إلى الحجاج؟**

– جان بيير سوديني:

كان الحجاج يُقبلون عن طريق أنطاكية بشكل رئيس، وهذا ما يبدو على الأقل من وضع المزار المتجه لاستقبال القادمين من أنطاكية الذين كان بإمكانهم أن يأووا إلى فنادق القرية. ويتجه الحجاج، عبر قوس النصر، صعوداً نحو شارع مقدس تحدّه الدكاكين، وصولاً إلى بوابة ذات ثلاثة أقواس تشكل المدخل إلى محيط المزار. وتقوم في المقدمة ساحة مرتفعة أولى لاستقبال المؤمنين، ترتفع في صدرها بوابة مزدوجة ذات أربعة أقواس متتالية تنفتح على فضاء مستطيل الشكل، تحاذيه، اقله من الشرق، قلايات رهبانية. وكان يقوم، إلى يمين المدخل، مبنى بثلاثة طوابق، قد يكون ديراً، بمحاذاة كنيسة مع بيت المعمودية، حيث كان يحتفل بالعماذات. وكان

الموعوظون يقتبلون سر العماذ في مناسبة عيد الفصح، محاطين بالجماعات التي هيأتهم. وكان موكبهم يجتاز الفناء في تطواف حتى بيت الشهداء المصلّب، يلجونه عبر مدخل رائع ثلاثي الأقواس. وكانوا يكرمون الذخيرة الحجرية القائمة في وسط المبنى، وقد ثلمت جوانبها وتُلفتْ كثيراً لدى أعمال التسوية. وكانت الأذرع الثلاث. الجنوبية والشمالية والغربية للمبنى المصلّب، متجهة نحو العمود، بينما اتجهت الذراع الشرقي -وهي الاطول- نحو المشرق، بالرغم من انحرافها الطفيف. هنا كان ينتهي التطواف الحجيجي بالاحتفال الافخارستي، كما خططت له السلطات الكنسية. ولكن نصاً -يُنسب إلى شخص يدعى ايفاغريوس كان قد زار المكان سنة ٥٦٠- يشير إلى أن هذا المنهاج الجميل كان قد توقف لدى زيارته، وان الاهتمام عاد مجدداً إلى العمود ذاته وإلى المعجزات المنسوبة إليه! وكشفت الحفريات ان مبنى الكنيسة الشرقي كان قد أُغلق وفُتح له باب باتجاه المبنى المثمن، بينما بقيت الكنائس الثلاث الأخرى مفتوحة بهذا الاتجاه.

* "المجلة": هل يعني ذلك فشلاً "للخطة" الرسمية؟

- جان بيير سوديني:

نفضل عبارة تغيير الخطة على فشل الخطة. فان سقف المبنى المثمن كان قد سقط منذ ٥٢٦-٥٢٨ بفعل هزة أرضية. ولمّا لم يتم إصلاحه، فذلك يعني ان السلطات المسؤولة أرادت وضع حد لتوسع المزار. وهناك عدة أسباب موجبة تفسر هذا التوقف عن التوسع: الهزات الأرضية المتتالية، الغزو الفارسي عام

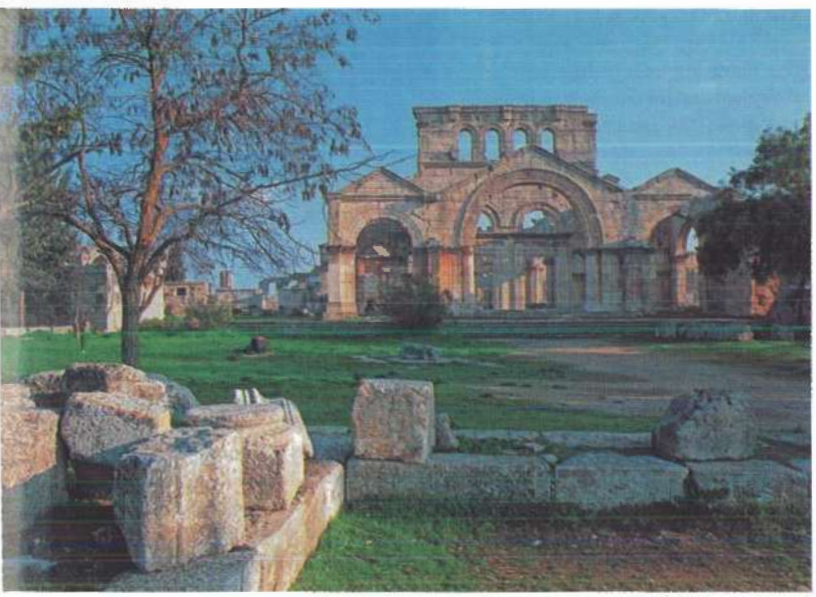

المدخل الرئيسي لبيت الشهداء الكبير القائم حول بقايا العمود.

منظر عام لبقايا مزار سمعان العمودي (قلعة سمعان)، الذي بناه الإمبراطور زينون، بضع سنوات بعد موت القديس (٢٤ تموز ٤٥٩). ويشاهد بيت الشهداء المثمن الهيئة يعلو تقاطع الكنائس البازيليكية الأربع.

٥٤٠، الطاعون عام ٥٤٢، الحريق الذي شب في المزار عام ٥٤٦، وثمة سبب أهم من ذلك كله، ألا وهو انتقال الدعم الرسمي إلى عمودي آخر يدعى سمعان "الأصغر". وكان هذا العمودي قد ولد سنة ٥٢١، وتيتّم وهو في الخامسة من عمره، وفي السابعة أصبح عمودياً. لقد كان ينتمي إلى أسرة متعلمة، ونشأ في كنف كنيسة أنطاكية التي سبقت أن أطلقت، منذ عام ٥٤١، تكريم عمودي آخر اسمه سمعان، وأقامت مزاراً على اسمه في موقع أقرب إلى أنطاكية، على قمة الجبل العجيب، وذلك في الزمن ذاته الذي ظهر العمود في قلعة سمعان. وكانوا يوزعون فيه تذكارات تقوية شبيهة بتلك التي وجدت في قلعة سمعان. أما قلعة سمعان الأصلية، فقد أهملت، وعادت إلى اهتمام الفلاحين والظهورات العجائبية للقديس، ولم تنهض أمام المنافسة الأنطاكية. ويبدو أن بيت المعمودية أصبح جامعاً نحو سنة ٧٥٠م.

نصوص ثلاثة لحياة مار سمعان

رسم ناظر لسمعان العمودي.
منحوتة من منطقة حماه السورية.
(٧٨سم × ١٦سم - متحف دمشق)

هناك ثلاثة مصادر قديمة تطلعنا على السيرة العجيبة لعمودي تيلانيسوس. وأولى هذه السير تعود إلى تيودوريت مطران قورش، وقد حررها عام ٤٥٩ بينما كان سمعان بَعْدُ حياً. السيرة الثانية، ويطلق عليها عنوان "السيرة السريانية"، كتبت بعد موت القديس مباشرة. أما الثالثة فهي السيرة اليونانية، وتنسب إلى تلميذ مزعوم يدعى انطونيوس. وتنقل هذه السير الثلاث احداثاً متماسكة، إن لم نقل متطابقة، ما خلا نقطة واحدة، وهي ليست اقلها شأناً: الا وهي اخبار الأيام الأخيرة من حياة سمعان.

تيودوريت لا يذكر شيئاً عنها، لسبب بسيط وهو أن القديس كان لا يزال حياً. أما السيرتان السريانية واليونانية، فتختلفان في نقاط مهمة جداً، ولا يمكن من ثم القبول بصحتهما كلتيهما، وذلك بالرغم من تأكيدهما ضمناً انهما من عمل تلامذة مقربين من القديس. فلا ظروف الوفاة، ولا تاريخها، ولا مكان إيداع الرفات تتفق في النصين! وبعد قرن من النقاش يقترح البروفسور برنارد فلوسين، الأستاذ في جامعة باريس الرابعة، تفسيراً شيقاً، مفاده أن السيرتين هما من طبقة مختلفة، وتتصل كُل واحدة منهما بمقامين اثنين لتكريم قديسَين مختلفَين، وبمنطقين دفاعييَن خاصَين. فالسيرة السريانية كتبت ضمن الجماعة، وتستقي أحداثها من ذكريات المقربين. انها تهدف إلى تقديم البرهان عن قداسة المعلم وإسناد مرجعية ورثته. أما السيرة اليونانية، فتبدو من نتاج المعبد الأنطاكي الذي ورث رفات القديس. وتحكي هذه السيرة أخبار الرفات المقدس أكثر من قصة حياة القديس، وذلك لتبرير مقام الرفات وسند مرجعيته.

الاهتداءات القفقاسية

مدخل إلى العبادات الآسيوية

بقلم جان بيير ماهي
مدير الدراسات في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا (باريس).
عضو المعهد الفرنسي الحالي

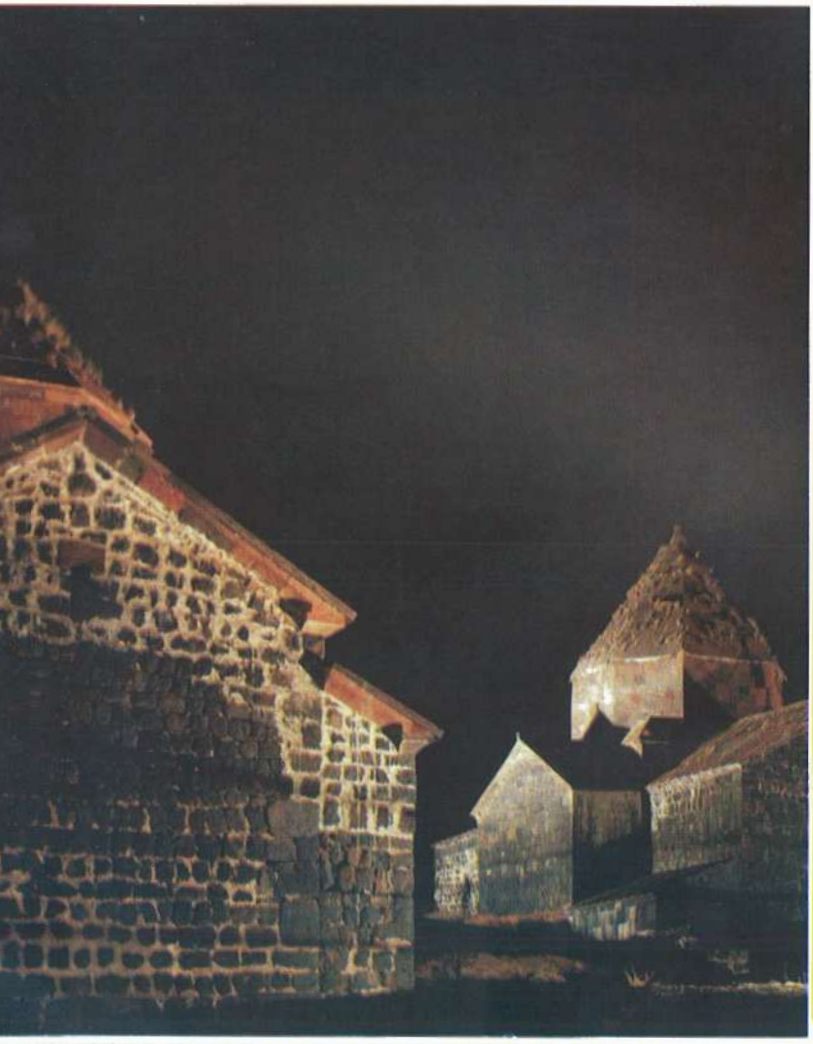

إن أول انتشار للإنجيل في أنحاء القفقاس لم يكن عمل المؤسسة الكنسية: بل هو نتيجة مبادرات فردية وتبادل غير منظم، ولم تتسع رقعته خارج نطاق أقلية من الناس. غير أن القرن الرابع شهد اهتداءات رسمية وجماهيرية في كل من مملكة إيبيريا (في أصقاع جيورجيا الحالية)، وأرمينيا وألبانيا القفقاسية (شمال أذربيجان الحالية).

في شمال أرمينيا: كنيستا بحيرة سيفان: كنيسة أم الله، وكنيسة الرسل. شيدتا في القرن ٩.

تضم قفقاسيا، في المعنى الواسع، كل الأراضي الفاصلة بين البحر الأسود وبحر قزوين، تجتازها سلسلة جبال "القفقاس الكبير" التي تتجاوز ذروتها ٥٦٠٠ متراً فوق سطح البحر. لقد شكلت هذه السلسلة، لزمن طويل، حاجزاً طبيعياً رائعاً وقلعة حصينة احتمت بها شعوب مختلفة من الغزوات الخارجية.

كانت قفقاسيا الداخلية، في بداية العهد المسيحي، منطقة نفوذ مشترك بين فارس وروما. وكان القائد بومبي قد أسند مملكة كلوخيدا القديمة، الممتدة على سواحل البحر الأسود، إلى سلالة أريستاركس في عام ٦٥ ق.م، وكان يحكمها قديماً ميتريداس. وقسمها الرومان اعتباراً من سنة ٢٣ ب م إلى أربع إمارات، يحكمها أُمراء تعيّنهم روما بحسب هواها. وكان بومبي قد امتد بفتوحاته حتى بحر قزوين، مروراً بإيبيريا (جيورجيا الشرقية)، وأرمينيا وألبانيا القفقاسية (شمال أذربيجان الحالية).

غير أن سيادة روما على هذه الممالك الثلاث أصبحت، أكثر فأكثر، سيادة نظرية، بحيث اضطرت السلطة الإمبراطورية تدريجياً إلى تعيين ملوك ينتسبون إلى الأسرة الفرثية من الارساشيديين الذين حكموا إيران. وهكذا، وبحماية إيرانية، جلس على عرش أرمينيا، الارساشيدي أورورديس الأول، عام ١٥ ب. م.، محل الملوك الارتكسيين، أصدقاء الشعب الروماني وحلفائه. سنة ١٥ ب.م. وأخيراً، اتفقت القوتان المتنافستان على ممارسة نوع من الشراكة في السيادة: وهكذا تُوِّج تيريداتس الأول الفرثي في روما، على يد نيرون، سنة ٦٣ ب.م. وعندما حاول تراجانس أن يعيد السيطرة الرومانية على كامل المنطقة، قام بحملة عسكرية واسعة، فأقام ملكاً ارساشيدياً في ألبانيا سنة ١١٤. كما حل ارساشيدي آخر، يدعى ريف العادل، سنة ١٨٩، محل السلالة الفارنابازية العريقة المالكة في إيبيريا منذ القرن الثالث قبل الميلاد.

وكانت الديانة في هذه الدول، على شاكلة الوضع السياسي، وثنية تضم خليطاً من الطقوس المحلية (القفقاسية أو الميكرأسيوية) المفسَّرة على ضوء العقائد الزردشتية الفارسية والميثولوجية اليونانية. وهكذا كانت نبوة قديمة حول الأشجار المقدسة تستقبل في هيكلها الإلاهة الأرمنية آريف (الشمس)، ولوسين (القمر) منذ القرن ٥-٦ ق.م. وكان هذا الهيكل قائماً في سهل آراكس، في المدينة الأرمنية

القديمة آرمافير المبنية على أنقاض الحاضرة الآراراتية المدعوة آركيشتيهنلي (القرن ٨ ق.م). وكانت الآلهة، في العهد الهيلليني، تتخذ شكل التماثيل اليونانية لآبولون وأرطميس، ثم غدت تحت النفوذ الفارسي تدعى ميترا (إله النار، والشمس، والعدالة)، وآناهيتا (إلهة الخصب والحرب). ثم ما عتم كافة الآلهة الأرمن/ الفرثيين أن ارتدوا الزي اليوناني. فاتخذ ارامازد/فاناتور، الإله الذي يستضيف السنة الجديدة، سيماء زوس كسينيوس وفاهاكن، وهو فيريثراكنا الفرثي "قاهر التنانين"، وتقمص شخصية هيرقلس الذي قاسمه مغامراته الغرامية مع آستريك/أفروديت.

وعلى مشارف المدينة الملكية مكسيتا، في ايبيريا، ترتفع تماثيل الأصنام العريقة آينينا وزادن، وتمثال غاييم الذهبي، وتمثال كاتسي ذي الوجه الفضي، قبالة تمثال أرمازي- وليس هو سوى نسخة محلية لآهورامزدا الإيراني. ويتخذ هذا التمثال هيئة عملاق نحاسي، يحمل خوذة ودرعاً من الذهب؛ وتلمع عيناه بالحجارة الكريمة؛ ويشهر سيفاً لامعاً كالبرق.. وكل ذراع غريبة تجرؤ على التقدم منه، فمصيرها الموت المحتّم. أما على ساحل البحر الأسود، فتتوجه العبادة إلى آبولون في منطقة بوتي، وفي جنوب إيبيريا إلى الالاهة الشمسية لوكوثيا.

أما الألبانيون، فقد فضلوا عبادة القمر، فبنوا أكبر هيكل له قرب إيبيريا في وادي آلازاني، وكانت سلطة الكاهن الذي يخدمه تضاهي سلطة الملك. فهو يحكم على مناطق شاسعة تضم آلاف العبيد، وهو الذي يحدد تفسير النبوات الصادرة عن المنجمين الكثر، الذين كانوا يشبهّونهم "بالأعشاش" التي تحطّ فيها الآلوهية كالعصافير لتلهم الهلوسات النبوية. وكان بعض هؤلاء المنجمين يهيمون في الغابات، مدفوعين بغضب إلهي عارم. ويأمر الكاهن بالقبض على أحدهم، فيربطه بسلسلة مقدسة، ثم يتخمه بالطعام مدة سنة كاملة قبل تقدمته ذبيحة في عيد القمر. وكانوا يقضون عليه بضربة رمح، فيقرأون علامات المستقبل في هيئة سقوطه عندما يهوي أرضاً.

اساطير وتقاليد: على خطى الرسل

هذا العالم في أقصى الشمال -وقد عزلته سلسلة جبال القفقاس الأكبر- تحدّه من الغرب والجنوب منطقتان دخلتهما المسيحية منذ العهد الرسولي، هما آسيا

صليب مزخرف على نصب ارمني قرب كنيسة هايرافانك، على شاطئ بحيرة سيفان.

الصغرى والعالم السوري/الفلسطيني. ويقال ان جيورجيا كانت من حصة العذراء مريم عندما ألقى الرسل القرعة بعد العنصرة لاختيار مواقع رسالتهم المقبلة! وقد أوفدت العذراء أندراوس، أول الرسل، وسلمته صورتها ليضعها في كلوخيدة، وهو في طريقه إلى تبشير الأقوام السكوث. ويبدو أن مسيحية آسيا الصغرى امتدت، في وقت مبكر، إلى سواحل البحر الأسود. وهكذا اشترك عدة أساقفة من جيورجيا الغربية في مجمع نيقية سنة ٣٢٥.

أما جيورجيا الشرقية، فيبدو، لأول وهلة، أنها بقيت أكثر انعزالاً. غير أن الأسطورة تحكي أن جالية يهودية كبيرة كانت تسكن في مدينة مكسيتا منذ زمن المسيح، وكانت هذه المدينة عاصمة مملكة إيبيريا قرابة ألف سنة (من القرن ٤ ق. م. إلى القرن ٥ ب. م.). وتقول الأسطورة أيضاً أن الكاهن أليوز كان بواسطة زملائه يهود أورشليم، على علم، بمقدم الملوك المجوس، وبمولد يسوع، وبمحاكمته التي دعي هو نفسه إلى المشاركة فيها. ولكنه أُخطر بواسطة حلم نبوي رأته أمه، فرفض إدانة المخلص، وحظي، عند أقدام الجلجلة، بالثوب غير المخيط، فجلبه إلى جيورجيا. وإن تواجداً يهودياً قديماً في مكسيتا، ليس موضوع شك البتة، ومن المحتمل تماماً أن بعضهم استجابوا إلى المبشرين المسيحيين الأوائل.

أما بدايات المسيحية في أرمينيا، فمرتبطة بالأعمال المنحولة المنسوبة إلى الرسول تداوس. وتقول هذه الأعمال أن أبجر ملك الرها الذي راسل المسيح، بضعة أيام قبل آلامه، نال، بالاضافة إلى الوعد بالخلاص، صورة المخلص، جواباً على

رسالته. فبعد العنصرة أبرأه تداوس من برصه، وتنصر هو وجميع مملكته التي كانت تضم عموم اوسروهانيا وأرمينيا. وفيما ينقل التقليد السرياني أن تداوس مات في الرها، يذكر النص الأرمني انه انطلق نحو الشرق. وفي الواقع، توقف عند أنكلتون في منطقة صوفانين، مدفن الملوك الأرمن، بينما يدفعه تقليد آخر، أكثر حداثة، إلى منطقة أرتاز في جنوب دوين. وقسمت مملكة أبجر بعد موته بين ابنه الذي ملك على أوسروهانيا، وابن أخيه ساناطروق الذي ملك على أرمينيا. وبينما جحد ابن أبجر وعاد إلى الوثنية؛ فقتل أدي، تلميذ تداوس، في الرها، اعتنق ساناطروق المسيحية على يد الرسول، ثم عاد ادراجه خوفاً من أبناء السلالة الأرمنية، وقتل تداوس، واستشهدت ابنته سندوخت ذاتُها على يديه.

واذا كانت هذه التفاصيل الأرمنية في اسطورة الرها لا تمت إلى التاريخ بصلة، ولكنها تشير إلى حدث لا غبار عليه، وهو: دخل الإنجيل أرمينيا عن طريق الجنوب، وبواسطة العالم السرياني، ومنذ بداية القرن الثاني ولا شك. فلقد كانوا يكرمون، في طارون، ذكرى الكرسي الأسقفي للقديس تداوس وتذكار "أم كنائس أرمينيا كلها".

كما تُنسب المسيحية الأولى في ألبانيا القفقاسية إلى أليشع الذي يقال انه نال الرسامة من يدي يعقوب أخي الرب، وأول بطريرك لأورشليم. فهو، في طريقه إلى بلاد فارس، ابتدأ يبشر في دربند، حيث تتلمذ كثيرون على يده. وبعد ان بنى في جيس أول كنيسة في ألبانيا، استشهد في سهل زيركون قرب هيكل الأصنام الوثنية. ويجعل التقليد الأرمني من أليشع تلميذاً للقديس تداوس. غير أن نصوص العاديات الألبانية الوطنية تدّعي أن رسالته تسبق هذا التاريخ.

الإهتداء الرسمي للممالك

لم يكن هذا الانتشار الأول للإنجيل في قفقاسيا انتشاراً مؤسساتياً، كما لم تكن الأفكار المسيحية المنتشرة تشكل مجموعة عقائدية متماسكة وسديدة، بل غلب عليها طابع التنوع. فهناك إشارات إلى تغلغل الفكر الغنوصي والمانوي. ويبدو اهتداء ممالك إيبيريا وأرمينيا وألبانيا في القرن الرابع اهتداء رسمياً وجماهيرياً، وقد تميزت تلك الحقبة بالتأثير القسطنطيني. فلقد كان الملك، إذا ما اعتنق الإيمان بالمسيح، يفرضه على رعاياه ويحطم الأصنام الوثنية.

وحدث ذلك أول الأمر في أرمينيا في عهد الملك تيريداد الكبير. فلقد شارك هذا الملك في اضطهاد ديوقليسيانس، واستشهدت على يده الراهبة خريسيمة ورفيقاتها الأربعون. وبعد ان تحول، عقب هذه الجريمة النكراء، إلى شبه ختزير، استعاد هيئته البشرية حين استمع إلى وعظ غريغوريوس النوراني القادم من قيصرية قبدوقية. وهذه القصة، بالرغم من سياقاتها الأسطورية، فقد نقلت إلينا خبر شخصيتين تاريخيتين:

تلقى الملك تيريداد الإيمان نحو سنة ٣٠٦، بعد أن تنازل ديوقليسيانس عن العرش، وأصبح القديس غريغوريوس أسقفاً لأرمينيا سنة ٣١٤. ولم تكن المسيحية قد انتصرت بعد رسمياً في تلك الحقبة سوى في الغرب، وكان على قسطنطين أن يحارب لفتح الشرق. لذا كان لإعلان تيريداد نفسه ملكاً باسم الله القدير معنى سياسياً أيضاً. انه أبطل تقليد أسلافه الذين كانوا، منذ بداية التاريخ الميلادي، يحكمون باسم القيصر.

دير دزوفالي-شوامتا في جيورجيا الشرقية، وهو يضم كنيسة تعود إلى القرن ٥، وكنيستين تعود قبابهما إلى القرنين ٦-٧.

والقديس غريغوريوس منح العماذ أيضاً لأورنائير ملك الألبان. ومع ذلك لم تفرض المسيحية ذاتها بيسر على هذه المناطق الشرسة. وان غريغوريس حفيد غريغوريوس النوراني، والمرسَل بصفة اسقف البانيا، ارتكب خطأ ضد الفطنة عندما

القديس يوحنا يملي أقواله على بروخورس. ان ملامح هذه اللوحة المستلة من مخطوطة أرمنية، وخلفيتها الذهبية التي تعكس النور الإلهي، تعبران تعبيراً بليغاً عن وساطة اللاهوتي يوحنا إذ يسلم نظرته الرؤيوية للتلميذ (بريفان)

بشر بالإنجيل قبائل المازكوت. فلما علم هؤلاء الجبليون الخشنون المعتادون على السلب والنهب أن العماذ يحرمهم من هذه الموارد، ربطوا القديس بذيل حصان وأطلقوه يعدو، ثم عادوا إلى عاداتهم القديمة. ولكن سرعان ما جاء الأرمن لمعاقبتهم.

أما اهتداء إيبيريا، فقد تم على يد امرأة. فيوم استشهدت القديسة خريسيمة في أرمينيا، نجت من المذبحة حاجة قادمة من الأراضي المقدسة، كانت قد انضمت إلى الراهبات، وتابعت رحلتها بسلام إلى مكسيتا. ومكثت في الصلاة ثلاث سنوات في طارف المدينة، تعيش في كوخ من الأغصان، تتبادل الأحاديث ببساطة مع بعض اليهود باللغة الآرامية. وكان أهالي المنطقة قد سُحروا بعذوبتها، حتى إنهم أتوا إليها يوما بطفل مريض، فشفته شفاءً عجائبياً. ومن ثم شفت الملكة نانا من داء قاتل. غير أن الملك ميريان بقي معانداً الايمان. وذات يوم، بينما كان في رحلة صيد، احتجبت الشمس في عز الظهيرة؛ وفي حيرته نادى إله المرأة الغريبة، فعاد الضياء على الفور، وكان ذلك نحو سنة ٤٣٠. لقد كان

تواضع هذه المرأة عميقاً بحيث ظل اسمها مجهولاً! وتكتفي المصادر اللاتينية بذكر أسيرة مسيحية، بينما يسميها الأرمن نونة، والجيورجيون يدعونها نينو. وقد تكون هذه الأسماء مجرد تحوير للفظة "نون" وتعني باللاتينية "راهبة". وبنت القديسة نينو أول كنيسة في مكسيتا، أطلق عليها اسم "العمود الحي"، لأن احد أعمدة المبنى، بحسب التقليد، جاء بصورة عجائبية واستوى في أساسها. واستدعت القديسة المطران يوحنا مع مبشرين من القسطنطينية، غير أن الكنيسة الجديدة سرعان ما أُلحقت ببطريركية أنطاكيا.

واضطر الملك تيريداد وميريان إلى اللجوء إلى القوة المسلحة لقمع المقاومة الوثنية في الريف. وتقول القصة أن شياطين بهيئة بشر فروا من الخرائب نحو الجبال الشمالية في جيورجيا، إبان هدم الهياكل. كما كان الوثنيون يخطرون الناس في المناطق المجاورة إلى اللجوء إلى سلاسل جبال القفقاس الأكبر تحسباً لحملة الأمير الذي كان يرافق نينو ويرغم القرويين على تسليم أصنامهم وتحطيمها.

الكتاب المقدس يترجم إلى اللغات القومية

لا تُفرض المسيحية بالعنف. فعملية زرع الإيمان تقتضي تغييراً جذرياً في القلوب والعقليات. لاشك أن المبشرين كانوا يبذلون قصارى جهدهم في الوعظ، وحتى بتعريض حياتهم للخطر، غير أن رؤوس سامعيهم كانت ملأى بالأغاني والأساطير التي تمجد الآلهة القديمة، مما حال دون اصغائهم الى الواعظين. لذا قررت كنائس إيبيريا وأرمينيا وألبانيا، بعد قرن من التبشير، أن تترجم الكتاب المقدس إلى لغاتها الوطنية. فظهرت الأبجديات المسيحية القفقاسية الثلاث، أي الأرمنية والجيورجية والألبانية في زمن واحد تقريباً، في أوائل القرن الخامس. ويذكر المؤرخ الأرمني كوريون الذي كتب في حدود سنة ٤٤٣، ان هذه الأبجديات الثلاث هي من ابتكار الراهب الأرمني ماختوتس.

جداريات القديس غريغوريوس

بقلم نيكول ثييري

في الشمال الشرقي من تركيا، بنى الوجيه الأرمني دكران هونانتس ديراً على اسم القديس غريغوريوس سنة ١٢١٥ في مدينة آني عاصمة الملوك الأرمن البغراديين (ق ١٠-١١م)، وذلك بعد تحريرها من الأمراء الشدّيين سنة ١١٩٩ على يد جنود ثامار ملكة جيورجيا. وتزدان كنيسة هذا الدير بسبع عشرة لوحة جدارية تحكي قصة اهتداء أرمينيا وإيبيريا. ويقول التقليد أن تيريداد تحول إلى خنزير بري على أثر قتله الراهبة خريبسيمة ورفيقاتها الأربعين، ثم عاد إلى اهتداء هيئته البشرية بفضل كرازة غريغوريوس. أما القديسة نينو، فبعد أن نجت من مجزرة رفيقات خريبسيمة، ذهبت إلى إيبيريا، وهدت الملك ميريان ورعاياه بمعجزاتها.

- تلميذات القديسة نينو (تفصيل)
- الملك تيريداد وحاشيته ينطلقون إلى الصيد بعد مجزرة العذارى الخريبسيميات. وتعاشى الفنان رسم الحادثة التي تلت مباشرة: تحول الملك إلى خنزير بري.

ويشهد اكتشاف الكتابة الألبانية القديمة على قربى وثيقة مع الأبجدية الارمنية في التركيبة والشكل. أما الأبجدية الجيورجية، فتختلف في تركيبتها عنهما، وإن اقترب شكلها الخارجي منهما. فلربما اكتفى ماختوتس بتنسيق سياقات خط استنبطه الجيورجيون أنفسهم في وقت سابق.

لقد أحدثت في الصلة المباشرة مع الكتب المقدسة تحولاً فكرياً عميقاً لدى هذه الأمم المسيحية القفقاسية الثلاث. فبينما كانت الميثولوجيا القديمة تحكي عن ماض أسطوري، تناقلوه شفهياً فقط، جاءت الكتابة لتنقل تاريخ البشرية الصحيح. وبتبني هذه الشعوب التاريخ المقدس وماضي الشعب المختار، فقد شهدت انبثاق أدب متميز خاص في كتابة السيرة وتدوين التاريخ. ومنذئذ، أتيح لها أن تفاخر

بأمجاد أبطال الإيمان الجديد في لغة البلاد ذاتها. وبفضل عملية التطعيم الثقافي هـــذه، تمكنت المسيحية من الاندماج بالوعي القومي؛ وأصبح بوسع بلدان القفقاس الوقوف سداً منيعاً بوجه الاضطهادات المزدية التي أثارها الساسانيون في النصف الثاني مـــن القرن الخامس.

رؤيا القديسة نينو

بعد ليلة مـــن العواصف الشيطانيـــة أحيتهـا القديســـة نينـو، منيرة الأيبيريين، في الصـــلاة بالقرب مـن رفيقاتها الناعسات، شهدت تثبيت عمود الكنيسة الجديدة على أساساته بتدخل إلهي، كما ورد في قصة معجزة "العمود الحي". وكانت تلميذات نينو السبع الأوليـات نسـوة يهوديات الأصل من مدينـة مكسيتا.

القديسة نينو (تفصيل)

الترجمة الأرمنية للكتاب المقدس

بقلم جان بيير ماهي

مدير الدراسات في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا (باريس).
عضو المعهد الفرنسي العالي

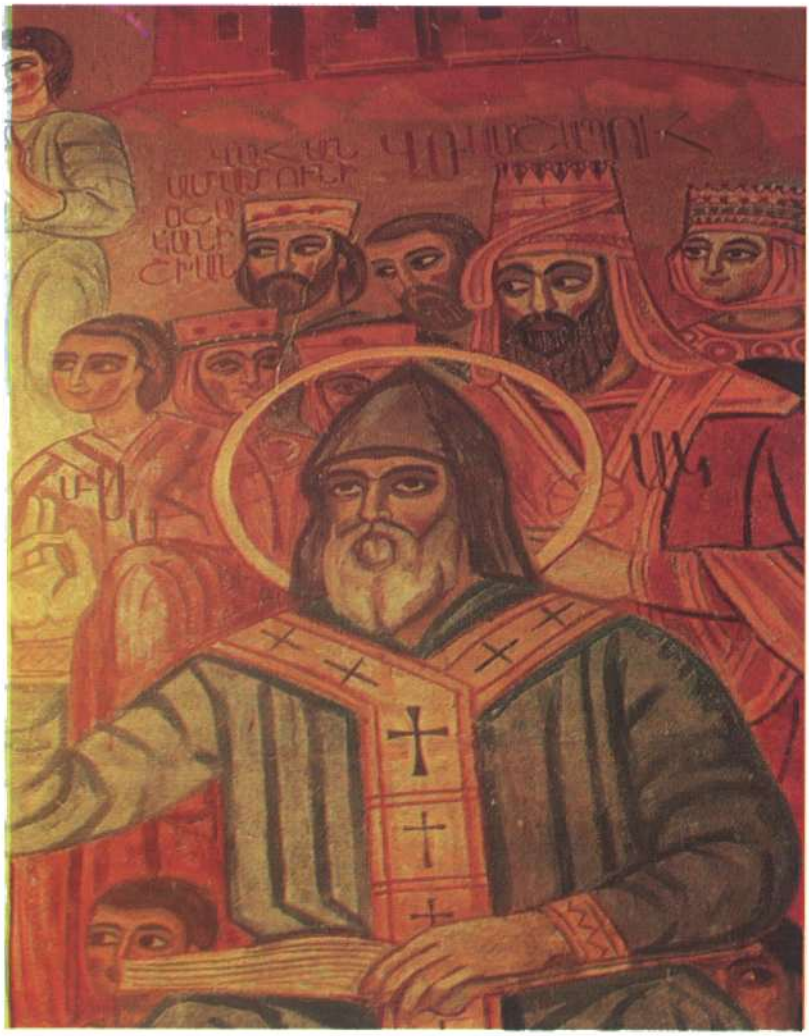

نحن على أعتاب القرن الخامس، في مدرسة شمشاط اليونانية. الراهب الأرمني ماشتوك يسلم الكلمات الأولى من سفر الأمثال لسليمان إلى الخطاط اليوناني روفين: "تعلم الحكمة والمشورة، وافهم أقوال المعرفة"، عبارات فرغ تواً من ترجمتها وخطها بأبجدية ابتكرها خصيصاً للغته القومية.

البطريرك اسحق القرشي، كاثوليكوس أرمينيا، والملك قرامشابوح (وراءه مع التاج) شجعا الراهب الأرمني ماشتوك في أوائل القرن ٥ لاختراع الأبجدية الأرمنية - جدارية كنيسة اوساكان.

أخذ روفين تلك الرموز البدائية التي رسمها الراهب وحوّلها إلى حروف كبيرة مزخرفة "بخطوط، منها مشبعة ومنها خفيفة، مستطيلة وقصيرة، منفتحة ومنغلقة"، وما إن فرغ الخطاط من نسخها، حتى سلم كل صفحة إلى كاهنين من تلامذة ماشتوك ("ماختوتس"، أو "مسروب" أيضاً)، يدعيان يوسيب ويوهانيس [يوسف ويوحنا]، واستخدما هذه الخطوط كنموذج لتعليم الأبجدية الجديدة للفتيان المتقدمين من الكهنوت.

وبعد الانتهاء من ترجمة سفر الأمثال، عاد ماشتوك وتلاميذه إلى بلادهم، مع نسخ عديدة لهذه الترجمة الأرمنية الجديدة للكتاب المقدس التي أُطلق عليها مذاك اسم نص "المترجمين القديسين". واستقبلهم بحفاوة بالغة الملك فرامشابوه والبطريرك

دير خور فيراب المحصن العائد إلى القرن السابع، عند أقدام جبل أرارات (في تركيا اليوم). ويعتبره مسيحيو أرمينيا رمزاً لهويتهم، فيكرمونه بصورة خاصة. ويقول التقليد أن سفينة نوح رست هناك.

اسحق الفرثي والإكليروس والأمراء والشعب. وشبهوا ماشتوك بموسى الجديد، لأنه علّم شعبه "الحروف التي أعطاها الله"، بل فضلوه على موسى القديم. ذلك أن موسى الأول، عندما نزل من جبل سيناء وبيديه لوحا الشريعة، اصطدم بوثنية العبرانيين وهم يسجدون لعجل الذهب، في حين لما عاد ماشتوك إلى مدينة فالارشابات ودخل كاتدرائية اتشميازين، لاقى شعباً مؤمنا منذ اكثر من قرن، ومُتحمساً برمته، بعد ان أُعتق من السأم الذي لازمه من القراءات الطقسية في لغات غريبة: السريانية في الجنوب والشرق، واليونانية في الشمال والغرب. وتقول القصة: "حينذاك، أصبحت أرمينيا، بلدنا السعيد والمحسود، بلداً رائعاً تماماً، لأن موسى معلم الشريعة مع كامل جيش الأنبياء، وبولس رائد التنوير وسائر فريق الرسل، بلغوا ديارنا، مسلحين بإنجيل المسيح الذي يمنح الحياة للعالم، وأخذوا يتكلمون الأرمنية!". وقد بلغ الحماس مبلغه ازاء هذا الاكتشاف حتى أسرعوا بترجمة مجموعة الأسفار البيبلية، قبل سنة ٤٠٧ ولا شك. وبما أن قراءة الكتاب المقدس تبقى ناقصة من دون التفسير السوي، فقد سعوا، في الوقت عينه تقريباً، إلى ترجمة كتابات الآباء السريان واليونان.

والجدير بالذكر ان اسحق (ساحاق) الفرثي، كاثوليكوس أرمينيا، الذي قاد هذا المشروع الحيوي، كان قد اعتلى السدة البطريركية بمساعي الرهبان البيزنطيين، وأولى الكنيسة اليونانية حباً واحتراماً كبيرين طوال حياته. غير أن جلوسه على الكرسي البطريركي في سنة ٣٨٧ تزامن تقريباً مع تقسيم أرمينيا بين الإمبراطوريتين المتنافستين، الفارسية والبيزنطية. ففي ما يخص فارس، كانت الزردشتية على وشك أن تصبح الديانة الرسمية، و لم يكن بوسع المسيحية أن تُقبَل من دون فك ارتباطها تماماً مع الهللينية. وكان على الأرمن الساكنين في القسم الفارسي من أرمينيا، أن يضحّوا، بين ليلة وضحاها، من الناحية النظرية على الأقل، بكل علاقة مع الرومان واليونان الذين كانوا حلفاءهم طيلة خمسة قرون تقريباً، بل كان لزاماً عليهم أن يتخلوا عن قراءة الكتب اليونانية المستعملة في الكنائس بصورة واسعة منذ قرابة مئة عام.

من أجل ذلك، عندما أراد اسحق أن يثبت أقدام المسيحية الأرمنية باختراع الأبجدية القومية وتمكن من ترجمة الكتاب المقدس، لم يرسل ماشتوك في هذه المهمة إلى الجانب البيزنطي من الحدود (وإلا تسبب في أعمال قمع فارسية)، بل بعث به إلى الأوساط السريانية، إلى آمد (ديار بكر) والرها وشمشاط. وإلى الرها أيضاً عاد تلميذاه آزنيك ويوفسي سنة ٤٢٧ لترجمة أعمال الآباء السريان.

وانتهز اسحق فرصة تحسن العلاقات بين بيزنطية وبلاد فارس –وقد وقعت معاهدة السلام بينهما عام ٤٢٢– فأرسل ماشتوك إلى أرمينيا البيزنطية لتعليم الأبجدية التي اخترعها. ولما كان هذا الراهب العالم في طريقه إلى القسطنطينية لاستحصال من الامبراطور الموافقات الضرورية للتعليم، فقد ترك فريقاً من تلامذته في ملاطية برئاسة الكاهن ليئونص (وقد استشهد فيما بعد على يد الفرس عام ٤٥٤) لترجمة الآباء اليونان. غير أن اسحق ما عتّم أن نال عقابه لقيامه بهذا التقارب مع الكنيسة البيزنطية. ففيما خُلع ارتحشش الثالث، أخر ملك لأرمينيا الفارسية عن عرشه سنة ٤٢٨، وأودع السجن في قطيسفون، خُلع الكاثوليكوس الذي كان يرافقه عن كرسيه هو أيضاً، وحل محله مجلس من ثلاثة أحبار بينهم اثنان سريان، مع مهمة الضغط على الأساقفة الأرمن كي يقطعوا كل صلة مع الكنيسة اليونانية.

وهكذا يتضح سبب غياب الأرمن عن مجمع أفسس سنة ٤٣١. ولم يطلق ملك فارس سراح اسحق ويأذن له بالعودة إلى أرمينيا إلا سنة ٤٣٢، بعد ثلاث سنوات من المنفى، وحينذاك استطاع أن يرسل كورين وليوند إلى القسطنطينية، وألحق بهما آزنيك ويوسيب للاستيضاح من بروكلس، أسقف العاصمة الإمبراطورية (٤٣٤–٤٤٧)، عن قرارات المجمع، واستئناف ترجمة الآباء اليونان. وعاد آزنيك إلى أرمينيا نحو عام ٤٣٥ حاملاً معه الرسالة المعروفة باسم "الكتاب إلى الأرمن"، وبنسخ "أمينة" لكامل أسفار الكتاب المقدس، جاء بها من القسطنطينية. وبمعاونة الكاثوليكوس اسحق، قام آزنيك بمراجعة كاملة للترجمة الأولى التي حققها ماشتوك "بسرعة وعن مخطوطات ضعيفة". ونص آزنيك هو الذي تعتمده الترجمات الأرمنية الحالية. أما النص الأصلي الذي أنجز عام ٤٠٧، لم يحفظ إلا جزئياً، أو بصورة غير مباشرة. فعلى سبيل المثال لا زال الأرمن يحتفظون بالترجمة القديمة لنشيد الأناشيد ولسفر الأخبار. كما أن معظم التفاسير القديمة الجيورجية للإنجيل والمزامير ترقى إلى النسخة الأرمنية الأولى. ومعظم المؤلفين الأرمن في القرن الخامس يسردون نصاً كتابياً يختلف عما نمتلكه اليوم. وبما أن هذه الشهادات تتفق فيما بينها، فبوسعنا الاستنتاج بأنها تعكس النص المفقود الذي يعود إلى سنة ٤٠٧.

وعندما يشير كورين، كاتب سيرة ماشتوك، إلى هذه الترجمة الأولى التي تمت انطلاقاً من مخطوطات ضعيفة، يونانية أو سريانية، كان ماشتوك قد عثر عليها

خلال أسفاره، فهو لا يعني سوى المراجع المكتوبة ليس إلا، ولكنه يدع تحت السَكْت احتمالية المراجع الشفهية. ومسألة المراجع الشفهية واردة، عندما نعلم ان أرمينيا اعتنقت المسيحية بين عامي ٣٠١ و ٣١٤، أي قرابة قرن قبل اختراع الأبجدية وقبل الترجمة المكتوبة للكتاب المقدس. وفي غضون تلك المدة الطويلة، كان لا بد من إقامة الطقوس وقراءة الكتاب المقدس في اليونانية أو السريانية.

من التفسير الشفهي إلى الترجمة المكتوبة

يقول المؤرخ لازار فاربيشي، من أواخر القرن الخامس، إن "القراءات الطقسية، قبل ماشتوك، كانت تتم باللغة السريانية في الكنائس والأديرة في بلادنا، و لم يكن العلمانيون يفهمونها، بالرغم من جهود المحتفل، و لم تكن الجماعة تجني منها أية فائدة". ويذكر موفسيس خوريناكي، من جهته (٣: ٣٦)، ان الاحتفالات الكنسية كانت تتم باللغة اليونانية، قبل اختراع الكتابة الأرمنية.

في الواقع، كان يتبع القراءات الكتابية، في اللغة الأجنبية، تفسير شفهي باللغة الأرمنية، يلقيه المحتفل أحياناً، وقد اعتاد بعض المحتفلين على حفظ النص عن ظهر القلب. وكان يكتفي أكثرهم حذاقة باستخدام الكتاب اليوناني أو السرياني، بمثابة مصدر ينظر إليه بعينيه، فيتلو النص الأرمني مباشرة. ولربما هذا هو الذي يعنيه موفسيس خوريناكي (٣: ٤٧) عندما يتكلم عن ماشتوك قائلاً: "فلقد كان الطوباوي قارئاً ومترجماً معاً. وإذا كان غائباً وقرأ النص غيره، بقي الكلام غير مفهوم للجماعة، لعدم وجود مترجم. لذا بذل قصارى جهده في اختراع علامات للكتابة الأرمنية"

إن كلمة "ترجمان" (مترجم) الأرمنية تنحدر من الكلمة السريانية "مترجمانا"، ذلك أن التبادل القائم منذ أكثر من ألف سنة بين أرمينيا والعالم السرياني-النهريني، ساعد على انبثاق تقنية شفهية من التفسير، تعتمد على شرح العبارة المقروءة، دون الارتباط الدقيق بحرفيتها. ولقد انسحبت هذه الطريقة بشكل عفوي على النص الكتابي وعلى التبشير الإيماني طيلة القرن الأول للمسيحية الأرمنية. ويحق لنا ان نعتبر ان الترجمة الأولى المكتوبة التي قام بها ماشتوك لم تكن في جوهرها سوى شبه تسجيل معدَّل للتفسير الشفهي الاصلي. وهذا ما يفسر كيف ظل

المؤلفون الكلاسيكيون يتلون غيباً هذه الترجمة، قرابة نصف قرن بعد انتشار الترجمة الثانية الرسمية للكتاب المقدس. من جهة اخرى، استمر النص الشفهي لبعض الأسفار في التداول لفترة طويلة بعد ذلك التاريخ. ويذكر المؤرخ توما عركروني في القرن العاشر أن الجبليين من سكان ساسون، في الجنوب الغربي لأرمينيا، كانوا يذهبون إلى الحرب وهم ينشدون الترجمة القديمة للمزامير.

من جانب آخر تعتبر ترجمة اسحق وآزنيك التي تمت عام ٤٣٥، ترجمة أدبية قوية، إذا ما قورنت بترجمة ماشتوك وتلاميذه المشوبة بكثير من اللمسات الشفهية. فترجمة اسحق وآزنيك تحققت عن نص يوناني تم تثبيته بصورة نهائية واعتبر نصاً قانونياً. ويعتبره علماء اللغات نموذجاً مثالياً لصفاء القواعد اللغوية وانسيابيتها، وليس استنساخاً حرفياً لنموذجها الأصلي. بل يدعوها م.ف.لاكروز، أمين مكتبة فردريك الأول، "ملكة الترجمات القديمة للكتاب المقدس". وغالباً ما ترد الأقوال النبوية فيها في صيغة شعرية وإيقاعية. ذلك ان حرص المترجمين على الأمانة الأدبية للنموذج الأصلي، دفعهم إلى الإبداع؛ كما استحثهم إلى تجنيد كل إمكانيات الألفاظ الأرمنية، وتوظيف بعض المفردات للتعبير عن المعاني بصورة دقيقة وخاصة، واستنباط الفاظ جديدة.

لغة موحّدة

بالإضافة إلى تبني الخبرة الدينية لشعب إسرائيل، كان على المتنصرين كتابة تاريخ الشرق القديم وتحديد مساره منذ ارض الكلدانيين، يوم هاجر منها إبراهيم، وحتى مصر الفراعنة، ومن سبي الإمبراطورية الفارسية وحتى قيام الإمبراطوريات الهللينية الكبرى. فلقد وسعت جميع هذه الحقائق الجغرافية والسياسية والمؤسساتية أبعاد اللغة الأرمنية، في مفرداتها وفي مداها الفكري. فالحضارات الفارسية والرومانية المتاخمة، كان ينظر إليها إلى ذلك الحين من الخارج، وكانت تعتبر عوالم غريبة، لا تستحق الاجتهاد في التعبير عنها باللغة القومية. أما الآن، فقد دونت في اللغة الأرمنية نصوص ما عتمت أن أصبحت قاعدة التعليم والثقافة.

وكانت أرمينيا، حتى ذلك الحين، منقسمة إلى لهجات متعددة، إلى أن جاءت ترجمة الكتاب المقدس التي اعتمدت لهجة أوستانيك، أي لهجة بلاط الملك

المستعملة في سهل أرارات، لتشهد ولادة لغة موحدة. استمر استخدام هذه اللغة كلغة حية تماماً طوال ثلاثة قرون، وهي تغذي تقليداً علمياً استمر لردح طويل من الزمن حتى القرن التاسع عشر، حين ظهر الأدب الأرمني المعاصر.

عماذ المسيح على يد يوحنا المعمذان. من مخطوطة بريشة يوهانيس بركري (قاسيوراكان)، مؤرخة سنة ١٣٦٢. المتحف الأرمني في أصبهان.

خصوصية كنائس الشرق المميزة

بقلم كريستيان كانويه

كلية اللاهوت في جامعة ليل الكاثوليكية
رئيس الجمعية البلجيكية للدراسات الشرقية

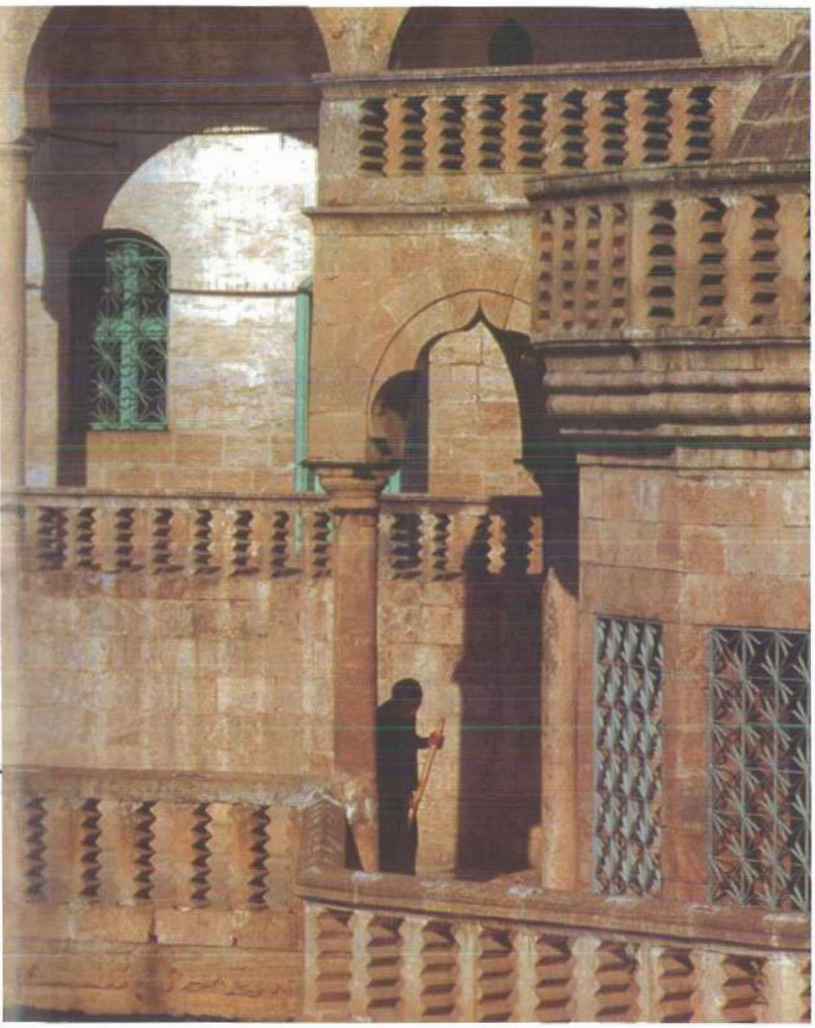

الكنيسة في الشرق، منذ القرون الأولى، تبنت تنوع التقاليد الثقافية المختلفة. فالانقسامات الكبرى التي حدثت غداة مجمعي أفسس وخلقيدونية لم تنجم عن اختلافات لاهوتية، بل عن خلافات حول معاني المفردات. وتضاعفت هذه الخلافات بمنافسات سياسية وسوء تفاهم على الصعيد الحضاري. ولم يبد هؤلاء المسيحيون وقد ثقل عليهم النير البيزنطي أو الساساني- أية مقاومة تذكر أمام الغازي (الفاتح) العربي في القرن السابع.

مدرسة قرآنية في اورفا (كردستان تركيا). والرها القديمة، بحسب اسطورة محلية قديمة، هي المدينة التي ولد فيها إبراهيم. ولقد أصبحت، بعد اهتداء الملك أبجر في نهاية القرن الثاني، أهم مركز للمسيحية السريانية. [ولاشك ان ثمة خلطاً بين لفظة اورها السريانية و أور الكلدانيين: المعرب]

هذا الانتساب الرسولي ابتدع أحياناً ابتداعاً وفق الظروف، كما هو الأمر مع القسطنطينية. ولم يتعمم لقب "بطريرك" لرؤساء هذه الكراسي إلا في القرن السادس. ويعبر أساقفة "الإدارة البطريركية"، بشركتهم، عن وحدة الكنيسة في تعدديتها.

وشائج التبعية والكنائس المستقلة

هكذا تبعت مطرانيات الأراضي الآسيوية في الإمبراطورية الرومانية الشرقية، منذ سنة ٤٥١، البطريركيات الثلاث: القسطنطينية (آسيا الصغرى والبنطس)، وأنطاكيا (سوريا وشرق الأردن)، وأورشليم (فلسطين). غير أن جماعات مسيحية نمت وتوسعت خارج الإمبراطورية. واحتفظت هذه الجماعات بوشائج رخوة ومبهمة جداً من التبعية للكراسي التي أسستها: كنيسة أرمينيا مع كرسي قيصرية قبدوقية، وكنائس جيورجيا وما بين النهرين وفارس مع كرسي أنطاكيا. غير أن هذه الكنائس "الخارجية" سرعان ما نزعت إلى الاستقلال، في ما يخص النظام الإداري، وحتى أحيانا على الصعيد العقائدي، سيما وأنها قلما دعيت إلى المجامع الموسومة "بالمسكونية" (ايكومينيي ومعناها لفظاً "العالم المسكون")- وكان "العالم المسكون"

دير الصليب في أورشليم. شيده تكلياتس الجيورجي في القرن الخامس، وأعيد بناؤه في عهد الإمبراطور جستنيانس في القرن السادس. وقد بقي آهلاً بالرهبان الجيورجيين حتى القرن الماضي.

يعني في الذهنية الغربية "العالم الروماني" (أوربيس رومانوس Orbis Romanus). وتخلّصت كنيسة أرمينيا، منذ ٣٧٣، من كل تبعية تجاه قيصرية قبدوقية، وقاومت بكل قواها محاولات دمجها في منطقة نفوذ القسطنطينية. كما أصبحت كنيسة جيورجيا في الواقع شبه مستقلة في إدارتها الذاتية، بالرغم من احتفاظها بصلات شكلية مع أنطاكيا. أما كنيسة ما بين النهرين وفارس (كنيسة المشرق)، فلقد كرست المجامع "الوطنية"، المنعقدة في ٤١٠ و ٤٢٤، استقلاليتها الإدارية الذاتية.

ونجد استمرار هذا التيار "الانفصالي" والاستقلالي حين رفضت كنيسة ما بين النهرين وفارس مجمع أفسس (٤٣١)، ورفضت كنيسة أرمينيا مجمع خلقيدونية (٤٥١). وتبنى رؤساء هذه الكنائس المستقلة تدريجياً لقب "كاثوليكوس"، أو "جاثليق" الذي يعيدنا إلى مفهوم خاص لعبارة "كاثوليك". ففيما تشير صفة "الكاثوليكي" أو "الكثلكة" في الغرب إلى السمة "الشمولية الجامعة" للكنيسة (كاثولون تون كوسمون katholon tun kosmon، ومعناها "في العالم أجمع")، تعبر هذه الصفة في الشرق عن أن كل كنيسة محلية، وهي مجتمعة حول مطرانها في الشركة الافخارستية، تشكل بذاتها كل الكنيسة (كاثولو katholou = "بحسب الكل، كاملاً")، حتى لو ابتعدت جغرافياً عن سائر الكنائس المسيحية وعن الكراسي التاريخية. فمن خلال لقب "كاثوليكوس" أو "جاثليق"، يبدو أن رؤساء كنائس أرمينيا وجيورجيا والمشرق أرادوا التعبير عن كمال المفهوم الكنسي لجماعاتهم، حتى لو تواجدت في الأطراف أو خارج الإمبراطورية الرومانية التي درج الغرب على اعتبارها المجال المسيحي المثالي. وهكذا نشهد قيام الجذور المبكرة للتوتر بين "كثلكة" تُخلط بـ "الرومانية" (ومع "الليتنة" لاحقاً ابان الانفصال الشرقي الكبير سنة ١٠٥٤)، و "كثلكة" تحترم النموذج الكنسي الذي طرحه أغناطيوس الأنطاكي، القائل بأن كل كنيسة، حيثما وجدت، تمثل كمال الجسد السري للكنيسة.

وجاء مجمع أفسس سنة ٤٣١ ليدين نسطوريوس بطريرك القسطنطينية بقرار متسرع ومباشر، بتهمة انه بالغ في الفصل في شخص المسيح ما بين الإنسان والإله، وانه رفض لمريم لقب أم الله. وهكذا، وبشكل تدريجي، رفضت الكنيسة السريانية المشرقية (كنيسة ما بين النهرين وفارس) قرارات أفسس، واعتبرت نسطوريوس، وبالأخص معلمه تيودورس المصيصي، ملافنة كباراً. وقد أُطلق على هذه الكنيسة

لاحقاً اسم "النسطورية"، مع أنها وجدت قبل نسطوريوس بزمن طويل، و لم تطأ قدم نسطوريوس قط شرق الفرات. كما ان هذه الكنيسة لم تعتقد أبداً بنظرية الفصل في شخصية المسيح (هرطقة الفصل بين ناسوت يسوع المسيح والوهيته) التي طالما ألصقت بنسطوريوس.

ثم جاء مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ ليعلن حرم الراهب أوطيخا الذي كان متحمساً للدفاع بضراوة عن نظرية لاهوتية في المسيح تركز بصورة مفرطة على عبارة عزيزة على قورلس الإسكندري وهي: "واحدة هي طبيعة (فوزيس Physis) كلمة الله المتجسد"، كانت قد بالغت في التركيز على الوهية المسيح على حساب ناسوته. فلقد أنكر أنصار العبارة القورلسية مجمع خلقيدونية، وشكلوا كنائس منفصلة دعاها أنصار خلقيدونية فيما بعد باسم "المونوفيزية" (القائلين بالطبيعة الواحدة). وهذه الكنائس هي، في آسيا: الكنيسة السريانية الغربية (ودعيت "يعقوبية" لاحقاً لأن يعقوب البرادعي أعاد تنظيمها في القرن السادس)، والكنيسة الأرمنية؛ وفي أفريقيا: الكنيسة القبطية في مصر، وابنتها الكنيسة الحبشية. أما الخلقيدونيون فقد لقبهم خصومهم بالملكيين، نسبة إلى الملك (من الكلمة السريانية ملكو "ملك")، لأن تحديدات مجمع خلقيدونية حظيت بمظلة الأباطرة البيزنطيين، دفاعاً وفرضاً. وهكذا نجد ان معظم تلك التعابير المجحفة، وغير الموفقة لاهوتياً، لم تعد مقبولة اليوم، بل يجب حظرها، وإن استعملت كثيراً حتى زمن غير بعيد.

امام الإسلام

منذ النصف الثاني من القرن السابع، وجدت معظم كنائس آسيا نفسها، وخاصة الكراسي الكبرى لأنطاكيا وسلوقية/ قطيسفون، ملحقة بالإمبراطورية الإسلامية: الأمويون في دمشق (٦٥٠-٧٥٠)، ثم العباسيون في بغداد (٧٥٠ — ١٢٥٨). ولقد كان الفتح الإسلامي أقل عنفاً مما صُوِّر عادة. فمن الناحية الثقافية، وحتى الدينية، لم يكن العرب غرباء عن مسيحيي الشرق أكثر مما كان اليونان أو الفرس. ففي دار الإسلام، كان المسيحيون واليهود يتمتعون بنظام الذمة الخاص، أو نظام "الحماية المدفوعة" الممنوحة لهم، بفعل قانوني، على غرار العلاقات التي اتبعها الرسول محمد مع مسيحيي نجران، والاتفاقات المعقودة بين الخليفة عمر وكنائس

بيت المقدس ودمشق وغيرها. وكان هذا النظام يضمن لغير المسلمين استقلالية واسعة في الشؤون الدينية والشرعية والمدنية لقاء ضريبة شخصية سنوية معقولة تدعى "الجزية"، تضاف إليها ضريبة عقارية (الخراج) تفرض على مالكي الأراضي. وكان الرهبان معفيين من الجزية، اقله في الفترة الأولى.

صدامات نسطوريوس وسوء طالعه

بقلم: بول ماكنين

حجرة تحمل صليباً نسطورياً، في آسيا الوسطى. (باريس، متحف غيميه).

لا شك ان نسطوريوس ليس مؤسس الكنيسة الشرقية، ولكنه أحد أعضائها. غير أن هذه الكنيسة اعتبرت إدانته مجحفة، وأيدت معارضته لعقيدة المطهر وللقب "أم الله" الذي أطلق على مريم، أم المسيح.

وكان نسطوريوس بالأصل من بلدة جرمانيكا في مقاطعة الفرات، التابعة لأنطاكيا. عينه الإمبراطور ثيودوسيوس بطريركاً للقسطنطينية (٤٢٨-٤٣١). وأسوة بكثيرين غيره، لم يكن ليقبل بعقيدة تقول بألوهية تزيل عن المسيح واقع حياته الإنسانية الأرضية، إذ ان المسيح، في نظره، كان إنساناً بين البشر. وكانت هذه المواقف مخالفة لمواقف فورلس أسقف الإسكندرية الذي توفي عام ٤٤٤. ولقد ضغط هذا الأخير على مجمع أفسس عام ٤٣١ كي لا ينتظر وصول أسقف أنطاكيا، ولا أساقفة آسيا، لتحديد الفكر اللاهوتي الذي يتبناه المجمع. فأدين نسطوريوس ببيانٍ مَنَعَ عقيدته وأنصاره، وتقرر حرق كتاباته، ثم نفي هو نفسه، اولاً إلى البتراء، ومنها إلى إحدى واحات الصحراء الليبية. وتمت القطيعة النهائية مع كنيسة الغرب سنة ٤٨٥ في اجتماع بيت عذراي. ويدعى أتباعه عادة بالنساطرة، أما هم، فيدعون أنفسهم كلداناً أو مسيحيين آشوريين. وهم ينتمون إلى كنيسة بين النهرين/فارس التي تدعى عادة بكنيسة المشرق.

وبالرغم من الإدانة التي مني بها النساطرة، فلقد ظلوا يعترفون بالمجمعين الأولين وبقانون إيمان نيقية الذي حدد في ٣٢٥. وفي سبيل الخلاص من الاضطهادات التي قادها ضدهم أسقف الإسكندرية، بدعم من روما، التجأ المسيحيون النساطرة إلى شرق الفرات، ومن هناك توسعوا باتجاه الشرق والشرق الأقصى.

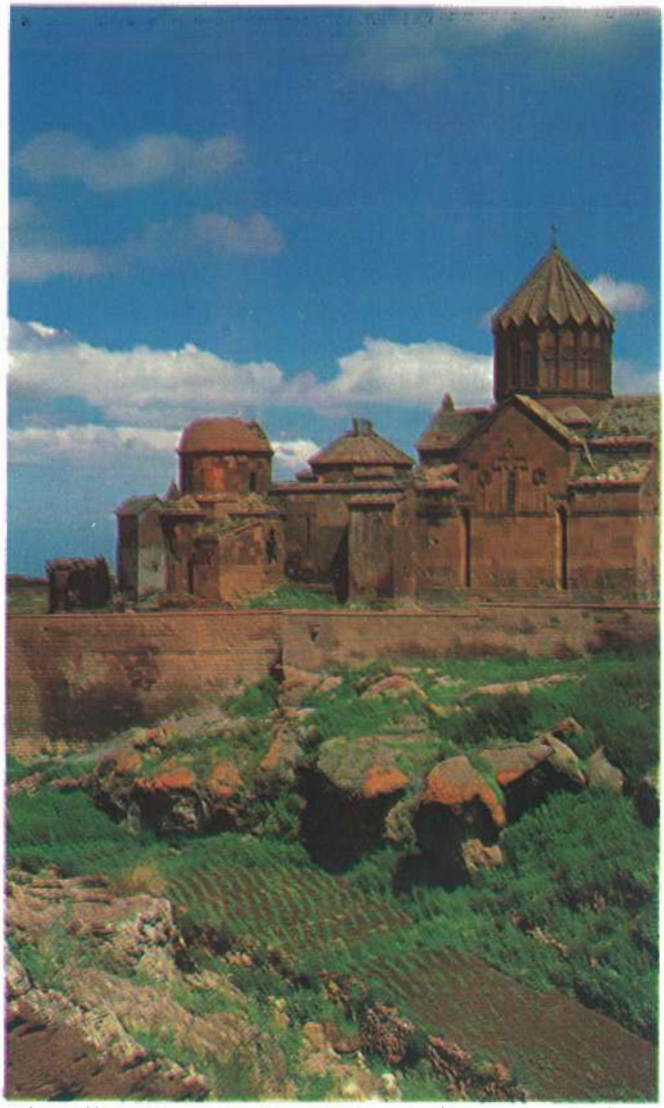

مجمع أديرة هاريشافانك في أرمينيا. شيد ما بين القرن السابع والقرن الثالث عشر.

بوسعنا القول، بشكل عام، بأن هذا النظام تقيدت به السلطات الإسلامية، في الفترات الأولى، لحرصها على تطبيق الأمر القرآني القائل "لا إكراه في الدين" (سورة البقرة: ٢٥٦). لذا لم تتقدم عملية أسلمة الجماعات المسيحية إلا ببطء كبير، ونادراً ما تم ذلك تحت الضغط المباشر. وكان للزيجات المختلطة دور في هذا الانتقال، لا يقل في الأهمية عن العامل الاقتصادي أو الاجتماعي (أبناء المرأة المسيحية التي تتزوج مسلماً، كانوا مسلمين إلزاماً، في حين لم يكن يحق للمسيحي أن يتزوج مسلمة إلا بثمن انتقاله إلى الإسلام). ويبدو أن المسلمين لم يصبحوا الأكثرية في سوريا وفلسطين إلا في أواخر القرن التاسع. بينما سبقوا هذا التاريخ في ما بين النهرين. وفي هذا التاريخ عينه ظهرت في التشريع الإسلامي إجراءات مجحفة إضافية إلى نظام الذمة، تدعى "الشروط"، وقد فرضت على المسيحيين إجراءات مُذلة في الحياة اليومية (من مثل ارتداء زي خاص، وحظر ركوب الخيل الخ...)، كما في الشؤون الدينية أيضاً (من مثل منع التظاهرات الخارجية، قيود على ترميم الكنائس أو بناء كنائس جديدة). ومنذئذ فرضت رسوم ثقيلة على الأديرة. ومع ذلك، فان المسيحيين ظلوا، عموماً، حتى عام ألف، يتمتعون بجو من التعايش المرضي، بحيث تقلد عدد منهم وظائف مهمة في

بلاط الخليفة وفي الإدارة العامة. ولم تبدأ الأمور بالتدهور إلا بعد هـــذا التـــاريخ. لاسيما في القرون ١٢-١٤، وذلك بتراكم عدة أسباب (من مثل: استمرار التراجع العددي في صفوف المسيحيين، ردات فعل أصولية لإثبات الهوية في العالم الإسلامي الذي كان قد فقد استقراره بسبب الحروب الصليبية والاجتياحات المغولية).

يحتل الجامع الأموي الكبير في دمشق موقع كاتدرائية قديمة على اسم مار يوحنا المعمذان; وظلت الكاتدرائية، بعد فتح المدينة على يد المسلمين عام ٦٣٦ بجوار الجامع، تضم الجامع في الموقع ذاته حتى عام ٧٠٥، حين أمر الخليفة الوليد الأول منع العبادة المسيحية في المكان، وبناء مسجد جديد فيه.

عندما تترجم آسيا الكتاب المقدس

بقلم كريستيان كانويه

كلية اللاهوت في جامعة ليل الكاثوليكية
رئيس الجمعية البلجيكية للدراسات الشرقية

إذا استثنينا الترجمات اليهودية – الآرامية والترجمة السبعينية اليونانية، تكون أقدم ترجمات الكتاب المقدس قد ظهرت في الجماعات المسيحية في آسيا، منذ القرن الثالث. وهذه الترجمات الشرقية القديمة بالغة الأهمية لدراسة نصوص العهد القديم، والعهد الجديد بنوع خاص.

مخطوطة سريانية
جاء في ذيل المخطوطة أنها نسخت في سوريا عام ١٥٥٠ من عهد السلاجقة، أي بين ١٠٦ سنة ١٢٣٨ و ٣٠ أيلول سنة من ١٢٣٩ للتاريخ الميلادي. ويضم المخطوط ملقوساً مختلفة، من مثل ملقوس الرسامات والتبريكات بحسب الطقس السرياني الأرثوذكسي
(مخطوط رقم ١١٢ في المكتبة الوطنية الفرنسية – باريس)

عندما تحولت السريانية من لهجة آرامية متداولة في الرها وفي أعالي الفرات (نصيبين) إلى لغة أدبية لمسيحيي سوريا وما بين النهرين، منذ أواخر القرن الثاني، فقد عرفت تقدماً سريعاً وواسعاً، تشهد له الأعمال الأدبية الغنية التي نقلت فيها. فالمخطوطات الكتابية السريانية تنقل نصوصاً في منتهى الأمانة للكتاب المقدس. والنص السرياني الأول، الناقص، للكتاب المقدس (ما دعي "بالسرياني القديم")، قد تم وضعه على الأكثر، منذ نهاية القرن الثاني انطلاقاً من نص عبري ينتمي إلى حقبة ما قبل النص الماسوري، او معاصر له، في الأوساط اليهودية-المسيحية في بلاد ما بين النهرين. وقد خضعت هذه الترجمة فيما بعد، وعلى أبعد حد في بداية القرن الرابع، لتعديلات بسيطة بتأثير من التراجيم اليهودية-الآرامية، واعيد النظر فيها على ضوء الترجمة السبعينية، وعلى ضوئها أيضا أعيد النظر في الأسفار القانونية الثانية. ويشكل ما يعرف بـ "دياطسرون" Diatessaron الشهير، لططيانس، النص السرياني الأول المعروف لقسم من العهد الجديد. فلقد مرَّرَ ططيانس، تلميذ يوستينس بعد سنة ١٧٢ بقليل، نصاً "متناسقاً" [موحدا] للأناجيل القانونية الأربعة، مستعينا ايضاً، على ما يبدو، بإنجيل منحول. أما استعمال الأناجيل "منفصلة"، فقد ظهر في الأوساط السريانية في حدود سنة ٢٠٠؛ ومن ثم فرضه أسقف الرها رابولا، بشكل حاسم، في حدود ٤١١-٤٣٥. أما الترجمات السريانية اللاحقة للكتاب المقدس، كاملة كانت ام جزئية، فهي من عمل الأسقف فيلوكسينس المنبجي (نحو ٥٠٠)، وتوما الحرقلي (نحو ٦١٦)، وبولس أسقف تيلا (الترجمة السريانية السداسية نحو ٦١٧)، ويعقوب الرهاوي (نحو ٧٠٥).

وفي النصف الأول من القرن الخامس، يبتدع القديس ماشتوك (المتوفي في حوالي ٤٣٩) الكتابة الأرمنية، ويأخذ في ترجمة الكتاب المقدس، بحسب تقليد الكنيسة الأرمنية، التي تنسب، برحابة صدر، إلى هذا الراهب أيضاً اختراع الكتابة الجيورجية، وترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الجيورجية. وينسب التقليد إلى ماشتوك شخصياً إنهاء ترجمة المزامير والعهد الجديد إلى اللغة الأرمنية؛ كما يقول هذا التقليد ان فريقاً من المترجمين أكمل ترجمة أسفار العهد القديم الأخرى برعاية الكاثوليكوس اسحق، نحو ٤٣٣-٤٣٨. ومن خصائص الترجمة الأرمنية القديمة للكتاب المقدس إقحامها أسفاراً منحولة، مثل: قصة يوسف وآسيناث، ووصية الآباء الاثني عشر، ورسالة القورنثيين إلى بولس، ورسالة بولس الثالثة إلى أهل قورنثس ضمن العهد الجديد.

المخطوطات الأرمنية

منذ القرن ١١-١٣ انتشرت مدارس عديدة للرسم في أرجاء أرمينيا، تعكس تنوعاً واسعاً من الأنماط، استوحت فيها عبقرية الرسامين التقاليد البيزنطية والتقاليد القديمة.

تكريم العذراء

العذراء مع الطفل جالسة على العرش بين ملاكين، وتشرف على لوحتي لغريغوريوس المنور ومار يوحنا المعمذان؛ سنكسار من سنة ١٤٨٧ (مخطوطة أرمنية رقم ١٨٣ في المكتبة الوطنية - باريس)

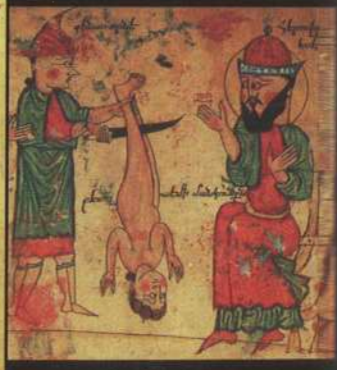

قتل الأبرياء

بالرغم من توسلات الأمهات، يقتل أحد الجنود طفلاً من أطفال بيت لحم أمام الملك هيرودس. (إنجيل من نهاية القرن ١٤/ مشهد رسم في خيزان في أقليم خاسبوراكان). مخطوطة أرمنية رقم ٣٣٣ في المكتبة الوطنية - باريس.

تقدمة يسوع إلى الهيكل

سمعان يحمل الطفل على ذراعيه قبالة العذراء، وباتجاه يوسف الذي يقدم حمامتين، وحنة النبية التي تمسك بشمعة. والرسام يوهانس بركري الذي يكتب ديباجة المخطوط فوق المشهد. (منمنمة في انجيل من سنة ١٣٦٢ رسمت في خيزان مخطوطة من كاتدرائية أصبهان (إيران)، رقم ٤٠٤).

المخطوطات الجيورجية

ترقى أقدم المنمنمات الجيورجية المحفوظة إلى القرن ٩-١٠. ففي تلك الحقبة، كان الأمراء البغرانيون قد انسحبوا إلى مناطقهم في تاو-كلارجيتي على طول ساحل البحر الأسود، ليُعدّوا العدة لتحرير بلادهم من العرب. وهنا في هذه الجبال في نحو عام ٨٥٠، أسس القديس غُريغوريوس الغندستي دير شاتبيرد الذي يعتبر ■سيناء جيورجيا■.

شفاء الأعمى

نمط المنمنمات تصويري أساساً. تحت قوس يوحي بالقدم، يحمله عمودان، يقف مسيح من دون لحية -بحسب تقليد العمانوئيل- يفتح عيني الأعمى المتمثل في هيئة شاب صغير. ويظهر اسم ■يسوع المسيح■ باللغتين الجيورجية والأرمنية. (إنجيل جروتشي، وقد نسخ في شاتبيرد بيد غريفول، وزينته بريشة تيفدوري سنة ٩٤٠. معهد المخطوطات في تبليسي).

صورة الانجيلي لوقا

منمنمتان فقط بلغتا إلينا من إنجيل بيتشفينتا المنسوخ في القرن ١٣. وتعتبر مدينة بيتشفينتا (بيتوس القديمة) في أفخازيا، احد أقدم مهد للمسيحية على الساحل الشرقي للبحر الأسود. (معهد المخطوطات في تبليسي).

صورة الإنجيليين لوقا ويوحنا

يتقابل شباب يوحنا (إلى اليمين) مع عمر النضوج لدى لوقا الطبيب. وطيات الثياب مستوحاة من التقاليد القديمة. ويضفي اللون الذهبي، في الكتب وفي هالة الرأسين، جمالا على الألوان

(انجيل أديشي، مرسوم في شاتبيرد بريشة ميخائيل سنة ٨٩٧. متحف ميستيا في سفانيتي).

وإذا أخذنا ببعض مصادر السيرة، نجد هناك ترجمة جيورجية، منذ أواخر القرن الخامس، للمزامير والأناجيل ورسائل بولس ولبعض نصوص العهد القديم. أما سائر الأسفار، فلقد ترجمت فيما بعد. وان المخطوطات ذات الأهمية الأكبر لا ترقى إلى أبعد من أواخر القرن التاسع. ويقول معظم المختصين الكبار ان هذه الترجمة تمت عن النص الأرمني القديم؛ ثم أعيد النظر فيها ابتداء من القرن السابع في ضوء النصوص اليونانية، بفضل الصلات المتزايدة مع العالم البيزنطي.

أما أقدم الترجمات العربية لأقسام من الكتاب المقدس، فقد تمت على يد ملكيي سوريا وفلسطين، بدءاً من منتصف القرن الثامن. وينسب إلى العالم المسيحي المشرقي الكبير حنين ابن اسحق (٨٠٨-٨٧٣) ترجمة عربية كاملة للكتاب المقدس، ولكن لم يُكتَشَف شيء من هذا العمل. وثمة ترجمة معاصرة لحنين تعود إلى اليهودي من أصل مصري سعدي الفيومي (٨٨٢-٩٤٣)، رئيس المدرسة الرابينية في سُرَّة في ما بين النهرين.

وتزعم بعض التقاليد التي يصعب التدقيق فيها أن ثمة ترجمات قديمة أخرى للكتاب المقدس. وهكذا يقال أن ثمة ترجمة باللغة الفارسية الوسطى (أو البهلوية)، تمت من السريانية، على يد مسيحيين من بين النهرين، بقي منها على الأقل بعض مقاطع من المزامير. كما يذكر ان مقتطفات من الكتاب المقدس مترجمة إلى اللغة السوغدية، في القرن الثامن، من اجل النساطرة في آسيا الوسطى، لربما تشهد على وجود نسخة سوغدية قد تكون كاملة للكتاب المقدس.

قبدوقية
المسيحية

قبدوقية المسيحية

في القرن الرابع، في قلب الهضبة الأناضولية، نساك يجسدون وجها خاصا من المسيحية، يمزج ما بين المتطلبات الصوفية الروحانية والبعد الشعري. ولقد شيدت هناك، في وقت مبكر، أديرة رائعة تشهد على إيمان غير اعتيادي. ويحاول بعض الحالمين اليوم أن يخلصوها من الفناء. أسماء لا تنسى: باسيليوس القيصري، غريغوريوس النازينزي، غريغوريوس النيصي... وعبارة "الآباء القبدوقيين" تعكس هالة من السرية والجلال. وتشكل قبدوقية اليوم محطة سياحية دائمة الصيت. والسياحة في هذه المساحات هي رحلة ممتعة لاستكشاف نمط من الروحانية والصيغ التي تعبر عن البعد الإلهي في الوجود الإنساني. إرث لم تمنحه الحضارة الغربية قدره.

• **في خضم المعركة اللاهوتية**
الآباء القبدوقيون الأوائل
جان برناردي

• **الحرب ضد الآريوسية**
باسيليوس القيصري
صوفيا ميليفيه

• **من المنسك الى الدير**
كاترين تيرار

• **حرب الصور**
ماري فرانس أوزيبي

• **كنيسة أم الله**
بحسب د. و ب. كوبري

"ال نازار كيليز (كنيسة النظر) بالقرب من غوريم، منقورة في الصخر الكلسي. ففيما تهدمت الجدران الخارجية، بقيت الزخارف شاخصة وإن في حالة سيئة بسبب الظروف الطبيعية. وهي تعود إلى الربع الثاني من القرن العاشر.

في خضم المعركة اللاهوتية

الآباء القبدوقيون الأوائل

بقلم جان برناردي
أستاذ محاضر في جامعة السوربون (باريس)

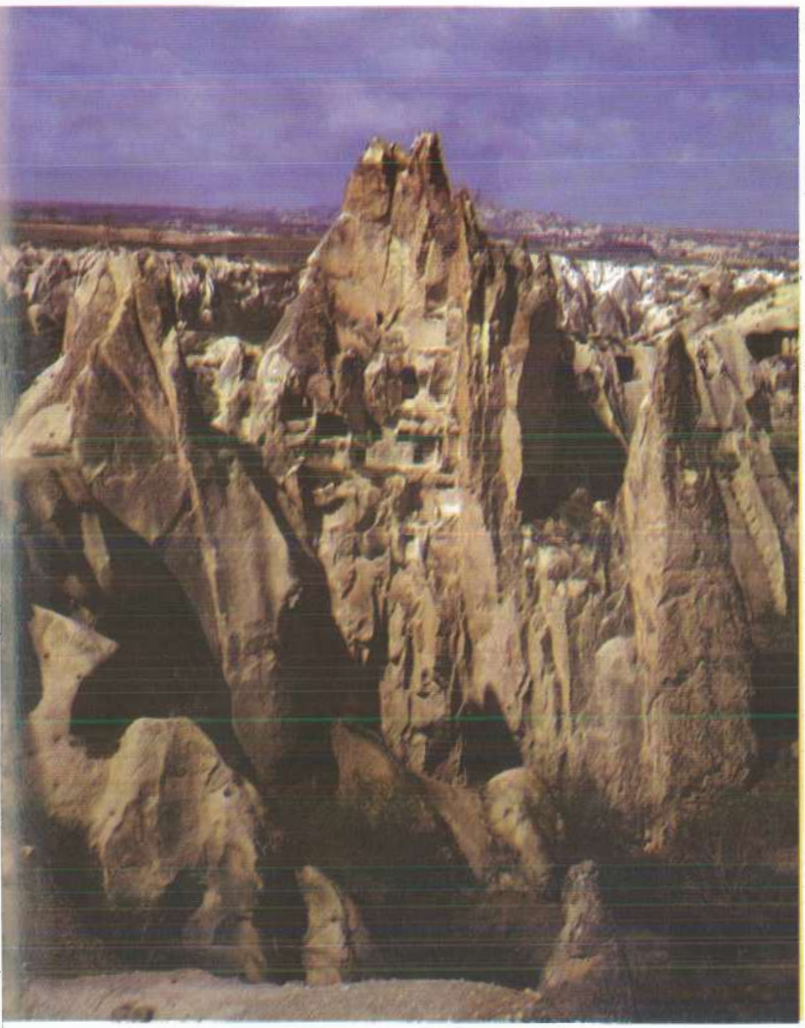

لقد كانت قبدوقية أرضاً ذات ثقافة هيللينية تحولت مبكراً إلى المسيحية، واصبحت مركزاً لنشاط فكري لاهوتي. من هذه البقعة التابعة للإمبراطورية الرومانية خرج ثلاثة أساقفة كبار: باسيليوس القيصري وأخوه الصغير غريغوريوس النيصي وغريغوريوس النازينزي. هؤلاء القوا أسس الحياة الرهبانية الشرقية مع مشاركتهم مشاركة فعلية في الجدالات اللاهوتية حول الثالوث.

مناظر قبدوقية المرحة بنتوءاتها الطبيعية الحادة، حيث تتناوب الهضاب والمنحدرات الهابطة، بعضها من صنع الإنسان، وقد حولها إلى مساكن وملاجئ وكنائس وأديرة. هنا: كنيسة ميريمانا، بمحاذاة موقع غوريم، معلقة بين السماء والأرض، وقد نحتت في قلب هذا المخروط الحجري الذي يغلق وادي كيليشلر (اقرا ادناه الريبورتاج: بين السماء والارض: كنيسة أم الله).

بدأت قصة الآباء القبدوقيين بصداقة قامت بين شابين من عمر متقارب، باسيليوس القيصري وغريغوريوس النازيزي، (ولدا في حوالي عام ٣٣٠)، وهما من البيئة الاجتماعية نفسها، ومن ذوي الثراء والنفوذ؛ اعتنق أهلهما المسيحية من وقت قصير، التقيا حين كان كلاهما طالبين في أثينا في نحو السنة ٣٥٠. وقادتهما هذه الدراسة إلى الاندماج في منطق زمانهما، ثم أصبحا أسقفين ولاهوتيين.

مجتمع هرمي جداً

غريغوريوس النازيزي و باسيليوس القيصري، طالبان ثريان جداً، قادمان من قبدوقية. والمجتمع في هذه الولاية، كما في سائر ولايات الإمبراطورية الرومانية، مجتمع هرمي جداً. تقود هذا المجتمع طبقة ارستقراطية صغيرة جداً، تتكون من بضع عشائر بالغة الثراء، ومتعلمة جداً، تقابلها طبقة واسعة جداً من الفلاحين، وعدد قليل من الحرفيين والتجار، يشكلون نحو ٩٥% من السكان.

وكان الأساقفة، في بداية القرن الرابع، يُختارون من بين صفوف هذه الأسر الكبيرة. وكان أبناء هؤلاء "الناس" وحدهم يملكون الوسائل للتخصص في دراسة الكتب المقدسة وعلم البلاغة ليصبحوا أساتذة؛ وكانوا هم وحدهم يحصلون على التنشئة على الخطابة بحسب القواعد التربوية التقليدية. ففي الأجيال المسيحية الأولى، كان بالإمكان اختيار الأساقفة من بين اليهود المتنصرين الذين كانوا، بفضل ثقافتهم الأصلية، مطلعين على الكتاب المقدس، وكان بوسعهم أن يديروا جماعات صغيرة هامشية. أما الآن، وقد تسلمت قيادة الإمبراطورية نخبة مسيحية، منذ اهتداء الإمبراطور قسطنطين، فكانت هناك جماهير جديدة من المؤمنين تملأ الكنائس، وكان يلزم تأطيرها ومتابعتها.

لقد اتخذت مهمة الأسقف في تلك الحقبة دوراً إدارياً مهماً. ولاختيار الشخص الذي سيحتل الكرسي الشاغر، يجتمع أساقفة الإقليم سوية ويستمعون إلى رأي الإكليروس المحلي والمجالس البلدية، وقد تستمر النقاشات طوال أسابيع أحياناً. ويقع الاختيار عادة على رجل متقدم في العمر، سبق له أن مارس المسؤولية في عدة أماكن محلية، ويكون قد أنشأ عائلة. وبالإضافة إلى ذلك، ينظر المؤمنون بعين راضية إلى الأسقف المختار ذي الاسم المعروف، وكان قد أحسن إدارة ممتلكاته وعبيده،

القيامة. مخطوطة مصوّرة من "مواعظ غريغوريوس النازينزي". مخطوطة يونانية رقم ٥٥٠، المكتبة الوطنية - باريس.

وبرز في استقطاب زبائن كثر، وكانت له علاقات واسعة وقوية. ويعتبر الأسقف المختار من صفوف النبلاء المتعلمين، ومن طبقة الملاكين الكبار ومن أوساط رجال الأعمال، بحيث يكون خليقاً بحماية أبرشيته. من أجل هذه الأسباب كلها، قام انتقال وظيفة الأسقف على نوع من الوراثة -وقد رسّخ هذا التقليد الإصلاح الذي قام به الإمبراطور دوقليثيانس في أواخر القرن الثالث، مثبتاً قواعد الوراثة الاجتماعية، مما كرّس بعمق الحدود بين الطبقات الاجتماعية. وهكذا، يكون غريغوريوس النازيزي نجلَ غريغوريوس الأقدم الذي كان أسقف نازيزة، إحدى المدن الصغيرة الواقعة بين القسطنطينية وأنطاكية.

لم يكن اهتداء هذه الأسر الى المسيحية موغلاً في القدم. فان تنصّر باسيليوس القيصري وأخيه الأصغر غريغوريوس النيصّي (الذي سيصبح ثالث الآباء القبدوقيين) يرقى إلى جيلين فقط، وقد تم في منطقة البنطس على يد غريغوريوس العجائبي: فمن أبناء الأسرة التسعة أصبح ثلاثة منهم مطارنة، وترهبت إحدى بناتها، بينما أخواتها الخمس الأخر تزوجن، كما يبدو، مطارنة أو كهنة.

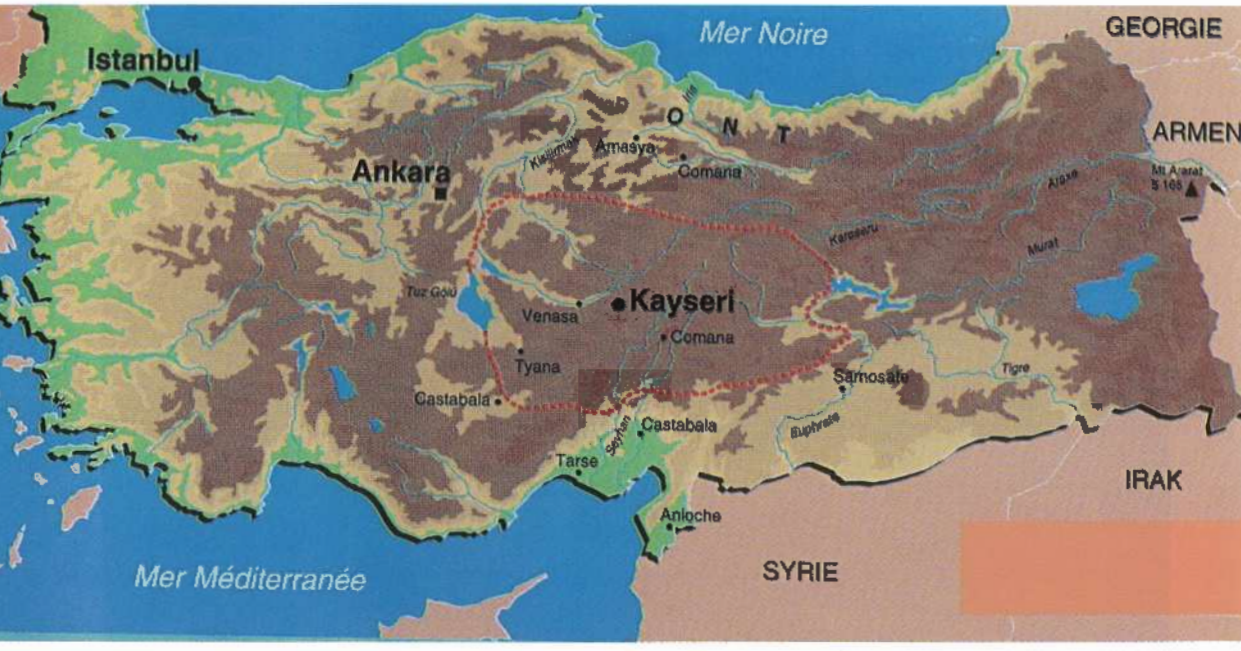

قبدوقية في قلب تركيا الحالية.

وإذا كانت نونا، والدة غريغوريوس النازيزي، تنتمي إلى عائلة مسيحية عريقة، فوالده كان ينتمي، قبل زواجه سنة ٣٠٥، إلى بدعة غير معروفة تماماً تدعى "هيبسيستاريين"، كانت تزاوج ما بين عناصر يهودية ومسيحية، ولاسيما زردشتية. ولم يقتبل العماذ الا في سنة ٣٢٥، وانتخب أسقفاً عام ٣٣٠. أما أسم غريغوريوس ذو النكهة المسيحية -ومعناه "الساهر"- فقد اتخذه قبل عماذه بزمن طويل، اذ كان التأخر في اقتبال العماذ أمراً مألوفاً: فلقد بقيت في الأذهان ذكرى الإضطهادات الكبرى في القرن الثالث (بين ٢٥٠-٣١٣)، بحيث صار المؤمنون غالباً ما ينتظرون ان يصبحوا على حافة الموت حتى يقتبلوا العماذ -وكان ذلك بداعي الفطنة اولا، ومن ثم بحكم العادة المكتسبة- بالرغم من تحريض الأساقفة على اقتبال العماذ في عيد الدنح الذي يفتتح السنة الطقسية. ويبدو أن باسيليوس القيصري وغريغوريوس النازيزي، خلافاً لما اعتاده معظم أبناء جلدتهم، اقتبلا العماذ في ختام دراستهما، في الثلاثين من عمرهما. وكانت تلك اشارة متميزة إلى المسيرة لهذين الشابين التقيين. لقد قضيا ثماني سنوات -وتلك مدة تتجاوز معدل الطلبة- منكبين على دراسة

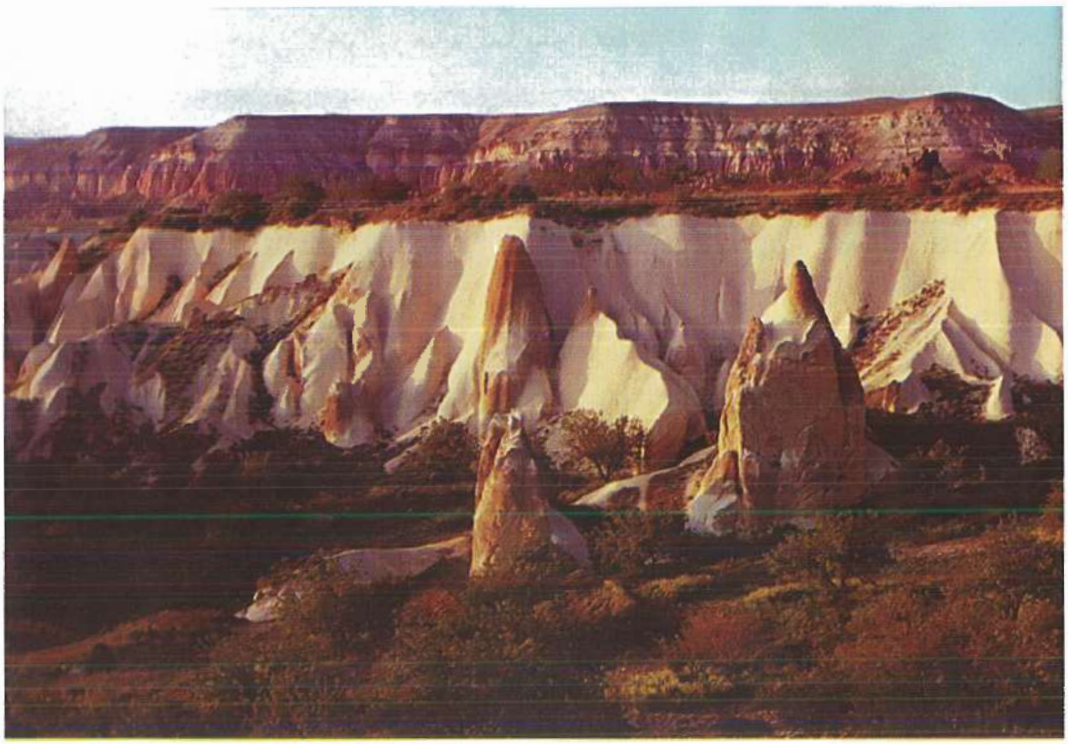

منظر من قبدوقية. على أثر انفجارات بركانية، ظهرت بقعة واسعة من الهضاب الكلسية، ومن ثم، بعوامل التعرية، تشكلت هذه النتوءات الغريبة وكأنها مداخن أسطورية.

النصوص الوثنية والمسيحية، وحفظا النصوص الكتابية غيباً، وتعلما التكلم أمام الجمهور، وتدربا على المناقشات حول المواضيع المختلف عليها. كما انهما امتلكا اللغة الأدبية امتلاكاً تاماً، وتربعا على عرش الفكر والآداب في زمانهما.

وفضلاً عن الصداقة التي كانت تربطهما، برزت شخصية كل منهما مختلفة عن الآخر، ولكن بتكامل ظاهر. فلقد اعتقد كل من باسيليوس القيصري وغريغوريوس النازيزي بأن العمل الناجح ينبغي أن يرتكز على حياة التأمل. وإذا كان باسيليوس رجل سلطة، فقد ألقى غريغوريوس بنفسه كلياً في العمل، دفعه صديقه إلى ذلك، بادئ ذي بدء، ثم أرغمته عليه الظروف القائمة، حيث انبرى مدافعاً عن الإيمان الأرثوذكسي النيقاوي القويم ضد الآريوسية. أما في أعماقه، فبقي يطمح إلى حياة الدراسة والصلاة.

وبسبب هذا الميل إلى الحياة التأملية، فيما كان غريغوريوس يؤثر البقاء في اثينا للتدريس، رفض أن يصبح كاهناً، وأبى معاونة أبيه في مهمته كأسقف حين عاد إلى نازيزة عام ٣٥٨، ولكنه لم يستجب اخيرا الا بدافع الطاعة لإرادة شيخ الأسرة، وهكذا اصبح بمثابة أول "أسقف مساعد" في التاريخ!

وفي عام ٣٧٢، قرر الإمبراطور فالنس –وكان أريوسياً– شطر إقليم قبدوقية إلى قسمين، مما تسبب في تقليل تأثير أرثوذكسية باسيليوس الذي أصبح رئيس أساقفة قيصرية عاصمة الإقليم. ونجح باسيليوس في إقناع أخيه أن يصبح أسقف نيصة، كما أقنع صديقه غريغوريوس أن يتسلم عبء الأسقفية الجديدة التي أنشأها في سازيمس، كي يكون إلى جانبه في ترسيخ عقيدة الثالوث لدى المؤمنين. غير أن غريغوريوس لن يتسلم كرسي سازيمس الأسقفي أبداً، لأنه وقع في كمين دبره له الأسقف تيان الذي كان "منافساً" لباسيليوس ومن منتفعي التقسيم الجديد لقبدوقية. فغضب غريغوريوس النازيزي على باسيليوس وانقطع إلى الصحراء بضعة شهور.

غريغوريوس لاهوتي زمانه

عاد غريغوريوس النازيزي بعد وفاة والده، ولجأ إلى العزلة والصلاة في سلوقية ايزوريا، حيث اعتنق حياة النسك، ومكث هناك حتى خريف عام ٣٧٨، حين لقي الإمبراطور فالنس حتفه على يد الغوطيين. وخلفه الإمبراطور ثيودوسيوس الذي كام اسبانياً، وبالتالي من مؤيدي مجمع نيقية، كما كان سائر مسيحيي الغرب. فلقد أراد وضع حد لأربعين سنة من الحضور الآريوسي في كرسي القسطنطينية.

ورأت ثيودوسيا، ابنة عم غريغوريوس النازيزي -وكانت تعيش في البلاط- أن الوقت حان لتدفع به الى أخذ قيادة الأرثوذكسية في العاصمة. وغريغوريوس، بعد استشارة باسيليوس، قبل أن يرئس هذه الجماعة حتى قدوم الامبراطور ثيودوسيوس عام ٣٨٠. لقد كان الامبراطور يرغب في تنصيب غريغوريوس مطراناً جديداً في احتفال رسمي في كنيسة الرسل القديسين (وستمنح هذه الكنيسة دورها ككاتدرائية إلى كنيسة آيا صوفيا). ولكن غريغوريوس الذي لم يكن اختياره قد تم بحسب الأصول القانونية، رفض الجلوس على الكرسي الأسقفي، بل جلس على كرسي جانبي. غير أن الجمهور الذي عارض الاختيار في البداية، غيّر رأيه عندما شاهد شعاعاً من الضياء على وجه الأسقف، فهتف له، كما جاء في سيرة حياته الذاتية، وقد رأى في ذلك علامة من الله. وهكذا رضخ وقبل.

ووَكَل الإمبراطور إلى مجمع القسطنطينية، عام ٣٨١، العودة إلى إعلان مجمع نيقية الذي كان قد أقرّ طبيعة الابن "المساوي في الجوهر" للآب، وتحديد طبيعة الروح القدس التي لم يتناولها مجمع نيقية قط. وأمانة لقناعاته، عمد غريغوريوس الذي رئس المجمع إلى إضافة عبارة "المساوي في الجوهر" (أي "الذي يشارك في الجوهر ذاته") في ما يتعلق بالروح القدس، إذ بدا له أن هذا التعبير وحده خليق بأن يوضح سر الثالوث. غير أن هذه العبارة كانت قد أثارت الكثير من الجدل والنقد بحيث رفضها الأساقفة.

وأحس الأسقف الحريص بالمرارة والملل من جراء هذه المماحكات الشخصية التي خضّت المجمع نفسه، فقدم استقالته وانقطع إلى نازيزة. وسيعيش هناك في أراضيه تسعة أعوام أخرى، منكباً على الدرس والصلاة. وحرر الأسقف المولع بالكتابة ٤٥ خطاباً في مواضيع شتى، ومنها عدد كبير للدفاع عن اللاهوت الثالوثي —وهي الاولى قبل القديس أوغسطينوس- حتى انها اصبحت نماذج دفاعية لأجيال من رجال الإكليروس. ولم يكن له من أسف سوى غياب تلامذة مباشرين، وهو الأستاذ الذي طالما لاقى المقاومة. كما وصل إلينا منه أكثر من ٢٥٠ رسالة موجهة إلى أشخاص مختلفين، من بينهم صديقه باسيليوس. وقد وضع أكثر من ١٧٠٠٠ بيت شعر، ومسرحية تراجيدية على النمط اليوناني بعنوان "المسيح المتألم"، حكى فيها آلام المسيح من خلال حوار بين العذراء مريم وجوق من الفتيات. وهنا نلمس الحس الرومانسي عند غريغوريوس النازيزي، وقد كان أحد آباء الكنيسة الملتزمين بالقضايا اللاهوتية الكبرى في زمانه.

الحرب ضد الآريوسية

باسيليوس القيصري

بقلم صوفيا ميتيفييه

مدرسة تاريخ القرون الوسطى. جامعة باريس الأولى – السوربون

يعتبر باسيليوس، أسقف قيصرية قبدوقية من عام ٣٧٠ الى عام ٣٧٩، احد أقوى المدافعين عن مجمع نيقية إزاء البدعة الآريوسية. فسّر الثالوث هو في مركز الجدالات اللاهوتية في القرن الرابع، تلك الجدالات التي استهدفت توضيح مسألة العلاقات في الله، وذلك بالإجابة إلى السؤال التالي: كيف نعلن وحدانية الله مع التأكيد على الوهية الابن والروح القدس الكاملة؟

جدارية الصلب في منحنى صدر كنيسة توكالي (كنيسة القرط) في وادي غوريم. لقد وسعت هذه الكنيسة في أواسط القرن العاشر، وهي أحد أجمل المعابد الصخرية في تلك المنطقة. وكانت هذه الكنيسة على الأرجح على اسم القديس باسيليوس الكبير إذ خصصت له مساحة ايقونوغرافية واسعة، دُمر معظمها اليوم.

الصورة التي تركها باسيليوس القيصري للتاريخ، وما زالت تعكسها رسوم كنيسة توكالي الجديدة في غوريم –وترقى إلى منتصف القرن العاشر– هي صورة واحدة: باسيليوس رائد المجمع المسكوني الأول، على قدم المساواة مع اثناسيوس الاسكندري، ساهم قبل أسقفيته وبعدها، في إعداد كنائس الشرق لقبول قانون إيمان نيقية ضد الآريوسيين خصوصاً. ومع ذلك لم يضع حداً للتعاون القائم آنذاك بين المؤسسة الإمبراطورية وأساقفة قيصرية، وذلك تواصلاً مع مواقف أسلافه منذ سنة ٣٢٥ وحتى ٣٦٠. والكنيسة، على خطى غريغوريوس النازيزي وغريغوريوس النيصي، إذا لم تحفظ عن باسيليوس سوى صورة المعارض الشديد للآريوسية، الا انه، بصفته اسقفاً لمدينة بارزة في الإمبراطورية، لم يجهل ولا استخف بالأبعاد السياسية التي لعبتها الآريوسية. فلقد ساهم، في آن واحد، في نشأة قاعدة الأرثوذكسية، كما في إرساء أسس الإمبراطورية المسيحية الجديدة.

وعندما ألقى باسيليوس بنفسه، لأول مرة، في مقاومة الآريوسيين، في بدايات عام ٣٦٠، كان الصراع بين أنصار آريوس وخصومه، منذ بدايات عام ٣٢٠، لا يزال يقسم الكنيسة. ومجمع نيقية الملتئم بأمر الإمبراطور قسطنطين الأول، حين اعلن أن الابن مساو للآب في الجوهر، فهو انما أدان في الوقت عينه أفكار كاهن الإسكندرية آريوس. ففيما كان اريوس يشاء الحفاظ على سمو الله المطلق، راح يؤكد بأن الابن هو خليقة الآب، وقد انتشله من العدم، لذا فهو يختلف عنه، وأقل منزلة منه!

حين خرج مجمع نيقية بقانون ايمان، مستخدماً عبارة "مساو في الجوهر" (homoousios)، لتحديد العلاقة بين الآب والابن –وهي عبارة لم ترد في الكتاب المقدس وكانت موضوع جدل– لم ينجح في وضع حد للخلافات القائمة، أو في حل الإشكالات التي أثارها آريوس و "التبعيون" (أي القائلين بتبعية الابن للآب، وغير مساوٍ له)، وبقي السؤال قائماً: كيف التوفيق بين وحدانية الله وبين الثالوث الذي باسمه يحتفل بالعماذ، والذي به وحده يتم فداء البشرية؟ وبالرغم من إجماع الأساقفة المجتمعين في نيقية عام ٣٢٥، فان صيغة قانون الإيمان هذه كانت موضوع جدل ودحض منذ السنوات التالية، وبقيت المسألة العقائدية موضوع جدالات طالما أثيرت بين الأطراف، حيث كان هذا الطرف أو ذاك يتبنى، بقليل أو كثير، صيغة

إيمان مجمع نيقية تارة، أو يعتنق أفكار آريوس تارة اخرى. وهكذا خرجت عدة صيغ إيمانية، على مدى أربعين سنة، عبر مجامع مختلفة.

وإذا قبل أساقفة قبدوقية صيغة إيمان نيقية عام ٣٢٥، فقد قبلوا أيضاً، لا بل أيّدوا المحاولات اللاحقة لإعادة النظر فيها، بفعل ضغوط ورثة آريوس. انهم انتموا إلى صف "الشبيهيين" الذين، فيما أدانوا استخدام عبارة "المساوي في الجوهر"، اكتفوا باعتبار الاب والابن "متشابهين" (هوموويوس homoios في صيغة المفرد). وفي الواقع، اتخذ هؤلاء الأساقفة موقفاً يجمع بين التحفظ تجاه العبارة المعدّة في سنة ٣٢٥ وتبني موقف الأباطرة الحاكمين، قسطنطين الأول وكونستانس الثاني؛ كما تطابق هذا الموقف مع موقف مواطنيهم الذين، باصطفافهم إلى جانب حزب "الشبيهيين"، وُضعوا على رأس عدة ابرشيات مهمة في الإمبراطورية، ومنها الإسكندرية ذاتها.

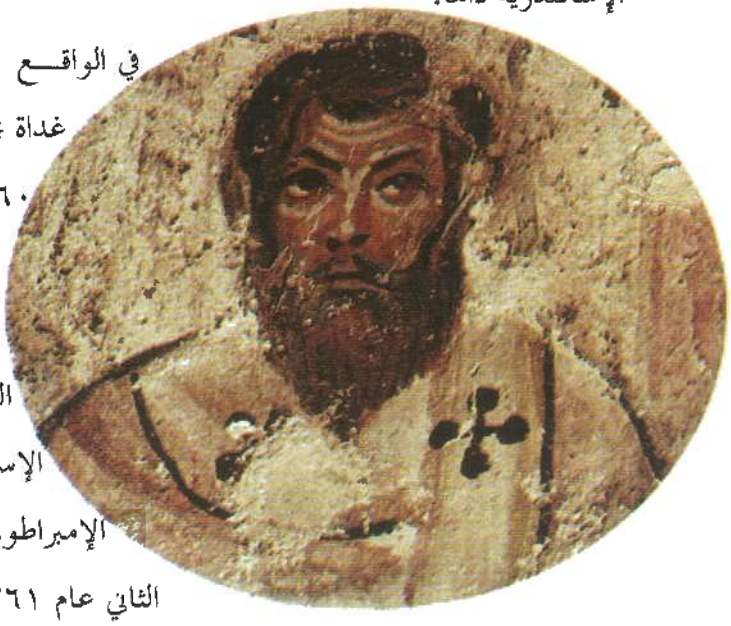

مار باسيليوس. إيقونة مرسومة على صليب بارز في الركن الجنوبي لكنيسة توكالي في مقاطعة غوريم.

في الواقع لم يكن إقليم قبدوقية قط، غداة مجمع نيقية وحتى الأعوام ٣٦٠، في خط الدفاع عن هذا المجمع: لا يبدو أساقفته منضمّين إلى الحزب النيقاوي، بقيادة أثناسيوس الإسكندري، إلا بعد وفاة الإمبراطور الآريوسي كونستانس الثاني عام ٣٦١. ولمزيد من الدقة التاريخية نقول أن باسيليوس لم يبادر الى مقاومة الآريوسية إلا في بداية عام ٣٦٠ في شخص أحد ممثليها الأكثر تشدداً، يدعى أونوميوس –وهو احد مواطنيه– حين كتب بحثاً بعنوان "ضد أونوميوس".

وساد الهدوء فترة ما بين ٣٦١ و ٣٦٤، حين أحجم الإمبراطوران يوليانس الجاحد وجوفيانس عن مساندة أي من الفصيلين. الا ان الصراع عاد من جديد إلى قبدوقية بين مناصري آريوس وخصومه. أما باسيليوس المنتمي آنذاك إلى اكليروس كنيسة قيصرية، فقد دحض كتاب "الدفاع" (Apologie) الذي وضعه أونوميوس "الشبيهي" (من الكلمة اليونانية أنوميوس anomoios تعني "المختلف"، على غرار الابن بالنسبة الى الآب في الآريوسية). فلقد أعلن أونوميوس وشرح وتبنى المواقف الأكثر تشدداً في الاريوسية: فهو حين يحدد جوهر الله بصفته غير مولود، جعل من الابن خليقة، واضفى عليه، كما على الروح القدس، وضعاً وسطاً بين الله ومجمل الكائنات؛ فهو يفسر الثالوث بمثابة تدرج تنازلي.

كيف أعلن يسوع الها

بقلم: جان – لوك بوتييه

لنستمع إلى غريغوريوس النيصي في نهاية القرن الرابع يكلمنا بمرارة عن القسطنطينية: "في هذه المدينة، إذا طلبت عملة نقدية من بائع في دكانه، سرعان ما يدخل معك في جدال حول ما إذا كان الابن مولوداً أم غير مخلوق. وإذا سألت الخباز عن نوعية خبزه، أجابك بأن "الآب يتفوق على الابن"، وإذا طلبت من خادم الحمام أن يقوم بواجبه، أكد لك بأن الابن خلق من العدم".

ولنقرأ الآن في كتاب تعليم الكنيسة الكاثوليكية الصادر عام ١٩٩٢، الفقرة ٤٦٤:

"ان الحدث الفريد والمتميز تماماً لتجسد ابن الله لا يعني ان يسوع المسيح هو إله جزئياً وإنسان جزئياً، ولا أنه مزيج مبهم من الإلهي والإنساني. لقد صار إنساناً حقاً مع بقائه إلهاً حقاً. فيسوع المسيح هو إله حق وإنسان حق. لقد توجب على الكنيسة الدفاع عن هذه الحقيقة الإيمانية عبر الأجيال الأولى ضد هرطقات كانت تشوهها". وكان ينبغي ان تتم مشاحنات لاهوتية حادة، وتعقد عشرة مجامع، فضلاً عن كثير من المجابهات المريرة، لا بل العنف.. كي تثبت هذه "الحقيقة الإيمانية"، أو بتعبير آخر، كي يقبل هذا السر. فما ان خرجت المسيحية في بداية القرن الرابع من حقبة طويلة من الاضطهادات، واوشكت أن تصبح الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية، حتى ظهر كاهن من الاسكندرية يدعى آريوس ينفي فكرة كون ابن الله الصائر إنساناً مساوياً للآب. فذلك في نظره يحط من منزلة القدير. ولاقت طروحاته سريعاً صدى واسعاً في الشرق. وسرعان ما أحس الإمبراطور قسطنطين بالخطر: فقد شعر بانه يتعرض لاحتجاج من قبل المسيحيين المنقسمين على أنفسهم، وبالاكثر، قد تتعرض للاهتزاز بل قد يطال الخطر وظيفته الإمبراطورية المتشحة بمسحة من القدسية. كيف يمكن ليسوع الا يكون سوى إنسان! لذا دعا الامبراطور قسطنطين إلى مجمع في نيقية (٣٢٥)، وتدخل في المناقشات اللاهوتية، وفرض الصيغة التالية: "أؤمن برب واحد يسوع المسيح [...]، مولود، غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر". واستمرت الخصومات حول لاهوت المسيح قرنين...وإن وجود كنائس مونوفيزية (أي المعترفة بالطبيعة الواحدة) اليوم، قبطية كانت ام ارمنية...، تذكرنا بأن الموضوع لم يحسم بعد.

ودخل باسيليوس الجدال الفلسفي ضد أونوميوس حين اعتبر بان "اللامولود" هو صفة تخصّ شخص الآب، ولا تمس جوهر الله. فالولادة التي يعتبرها أونوميوس مرادفاً لعمل الخلق، انما هي في الآب أزلية ونسبية، وليست سوى تعبير عن تميّز العلاقة بين الآب والابن، بحيث يكون الواحد مبدأ أو علة، والآخر نتيجة. وهكذا يعلن باسيليوس ان الابن شبيه تماماً بالآب (وليس مختلفاً واقل منزلة منه)، وفق صيغة إيمان نيقية. ولكن باسيليوس بقي إلى ذلك الحين لا يستعمل العبارة التي تميز بها مجمع نيقية، أي عبارة "هوموسيوس" homoousios (= مساو في الجوهر) التي لم يعترف بدقتها التامة. ذلك أن استخدام هذه الكلمة كان مرفوضاً لدى الآريوسيين، المعتدلين والمتشددين معاً، وكان هؤلاء يُتَّهمون بأنهم "سابيليون"، نسبة إلى سابيليوس الذي نعت بالهرطقة في بداية القرن الثالث، لأنه جعل من الابن مجرد اعتلان نوعي للألوهية، ونفى أي تمييز بين أقانيم الثالوث.

تشكل الجداريات الإيقونوغرافية لكنيسة توكالي الجديدة مجموعة تفصيلية لحياة المسيح. وهنا نشاهد بعثة الرسل - الفضاء الجنوبي من الكنيسة.

تأويل قانون إيمان مجمع نيقية

لقد دافع باسيليوس، يوم كان كاهناً ثم أسقفاً، عن آلوهية الابن والروح، وفي الوقت ذاته حاول تحديد طبيعة الثالوث، ضد الآريوسية والسابيلية. لقد بحث موضوع سر الثالوث واجتهد في الحفاظ على الوحدة الإلهية والتمييز الثالوثي بين الأقانيم، في كتابه الموسوم "ضد اونوميوس"، كما في مقاله "عن الروح القدس" (وقد كتبه عام ٣٧٤-٣٧٥)، وفي مراسلاته. وفي سبيل البلوغ إلى هذا الهدف، دافع عن صيغة إيمان نيقية، وقبل عبارة "المساوي في الجوهر" وفضلها على العبارة التي كان قد تبناها أولاً، لأنه رأى فيها ضماناً لآلوهية الابن تماماً، وأوضح بدقة أكبر معنى هذه العبارة، بل حمّلها المعنى المطلوب. ففيما ماثل آباء مجمع نيقية بين كلمتي الجوهر (substance) والذات [او الشخص] (hypostase)، وأهملوا تحديد العلائق بين الروح، من جهة، وبين الآب والابن من جهة أخرى، نعت باسيليوس كلاً من الآب والابن والروح القدس بصفة "هيبوستاس" Hypostase، (بصيغة الجمع)، وأكّد آلوهية الروح والابن على حد سواء، ضد الآريوسيين والمقدونيين (الذين كانوا يرفضون المساواة بين الهيبوستاسات [الأشخاص أو الذوات] الثلاثة). كما ميّز، بالفعل، بين الجوهر الإلهي، الواحد والمماثل، وبين الهيبوستاسات [أي الذوات او الاشخاص] التي تعني في الله، وبصورة نسبية، الخواص التي تشكل ذاتية أو فرادة كل من الآب والابن والروح. وهكذا برر باسيليوس العبارة العقائدية التي تبناها المجمع الملتئم في القسطنطينية عام ٣٨١، قبل سنتين من موته، والقائلة بالجوهر الواحد في ثلاثة هيبوستاسات [= ذوات او اقانيم].

هذه الصيغة قبلتها كنائس الشرق، وفي الوقت ذاته أقرت كنائس الغرب لها باستقامة المعتقد (الارثوذكسية). الا ان الكنائس الغربية احتفظت بكلمة "بيرسونا" اللاتينية (PERSONA [بمعنى الشخص أو الأقنوم] عوض كلمة "هيبوستازيس" (hypostasis) اليونانية. وهكذا، يكون باسليوس، بإضفائه الشرعية على استخدام كلمتي "المساوي في الجوهر" و "الذات" (هيبوستاس)، قد وَفّق بين عبارتين وتقليدين، بهدف توحيد جميع الأرثوذكسيين في فريق واحد، بل بالأحرى في شركة إيمانية واحدة.

ولكن باسيليوس القيصري، في مقاومته الآريوسية والسابيلية معاً، أعطى الشرعية لهذه الصيغة الثالوثية التي اعتبرها تفسيراً أصيلاً لقانون إيمان نيقية، الا انه

بذلك لم يكن، بأي شكل، خصماً عنيداً للإمبراطور الآريوسي فالنس. أجل، ان باسيليوس، وان رفض الشركة مع الأساقفة الآريوسيين الذين كان يدعمهم الإمبراطور، ولكنه، مع ذلك، لم يكن هدفاً لاضطهاد المؤسسة السياسية، خلافاً لما يبدو من كتابات غريغوريوس النيصي وغريغوريوس النازيزي اللذين اضطرا إلى تقديم تبرير لعدم تعرض باسيليوس للمنفى أو للإقالة، خلافاً لما حدث لأساقفة نيقاويين آخرين. ذلك أن مقاومة باسيليوس للآريوسية كانت عقائدية وكنسية ولم تكن سياسية قط! فباسيليوس لم يقاطع التحالف الفعلي القائم منذ أسلافه مع المؤسسة الإمبراطورية، لاسيما ديانيوس أسقف قيصرية في عهد قونسطانس الثاني. وبدل ان يقاوم سلطة الإمبراطور الآريوسي فالنس، فقد أسند إليه هذا الامبراطور مهمة رسمية في ولاية أرمينيا المجاورة، كما حظي منه بتعزيز لمركزه الشخصي ضمن أبرشيته الأسقفية ذاتها، إذ قدّم له عوناً في أعماله الخيرية. وإذا ما أخذنا بأقوال غريغوريوس النازيزي، فإن المجابهة بين باسيليوس وفالنس كانت قد خفتت منذ بداية أسقفية باسيليوس.

منظر لكنيسة توكالي من الداخل، وهي تضم ثلاثة أقسام. إلى اليسار: الكنيسة القديمة؛ في الأمام: الذراع الشمالي لجناح الكنيسة الجديدة، مع معبد المدفن وراء الأعمدة. وتشكل رسوم الكنيسة الجديدة إحدى روائع الفن البيزنطي وتتميز باستخدام اللون الأزرق الزمردي للخلفيات، واللون الذهبي والفضي للحنايا.

اسقفية باسيليوس.

وهكذا لم تمنع المواجهة العقائدية من التعاون السياسي بين الأسقف والإمبراطور. ذلك ان باسيليوس لم ينظر إلى خدمته الأسقفية سوى من منظار الشركة بين سائر الكنائس، وانطلاقاً من القبول بموقع المؤسسة الإمبراطورية، إن لم نقل بوظيفتها، منذ قسطنطين الأول. وهكذا اعتُبر باسيليوس، فور وفاته، واحداً من آباء كنيسة الشرق، لأنه عرف أن يشخّص الانعكاسات العقائدية والكنسية والسياسية التي رافقت الاعتراف بالمسيحية في قلب الإمبراطورية الرومانية.

النمط الرهباني الباسيلي

بقلم: صوفية ميتيفييه
جامعة باريس الأولى – السوربون

ان باسيليوس، بعد انهائه فترة التنشئة المدنية في أثينا، مع زميله ومواطنه غريغوريوس النازينزي، وبعد أن مارس وظيفة الخطيب في قيصرية (كما فعل والده من قبل)، وقبل أن يقبل في عداد الإكليروس في كنيسة قيصرية في أوائل عام ٣٦٠، اعتنق حياة النسك وهو في الثلاثين من عمره.

لقد زار باسيليوس، بحسب شهادته بالذات، جماعات رهبانية مختلفة في الشرق، بحثاً عن نماذج تلائمه: "لقد قرأت الإنجيل ولاحظت ان الوسيلة الناجحة لبلوغ الكمال هي في بيع الممتلكات ومقاسمة ثمنها مع الإخوة الفقراء، والتحرر الكامل من هموم الحياة [...]، وتمنيت لو وجدت أخاً اعتنق هذه الطريقة في الحياة [...] فاكتشفت رجالاً كثيرين من هذا النمط في الإسكندرية وسائر مصر، وغيرهم في فلسطين، وسوريا، وما بين النهرين. وكنت اعجب من قناعتهم في الطعام، ومثابرتهم في العمل، واستمرارهم على الصلاة، ومن طريقتهم في السيطرة

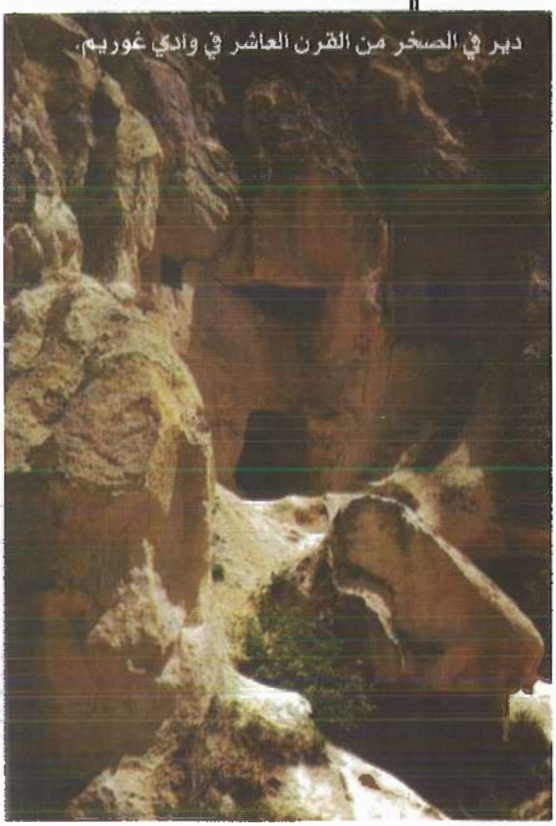
دير في الصخر من القرن العاشر في وادي غوريم.

على النوم [...]" (باسيليوس: رسائل، ترجمة ي. كورتون). ومع ذلك لم يمكث باسيليوس في الشرق، بل فضّل العودة إلى آسيا الصغرى، واعتكف في آنيسا في إقليم البنطس المجاور لقبدوقية -وكان قسم من ذويه من هذا الإقليم أصلاً. وكان باسيليوس، باهتدائه إلى الحياة النسكية قد تبع تقليداً عائلياً وإقليمياً مزدوجاً، إذ كانت شقيقته الكبرى ماكرينة قد ترهبت، وكذلك اسطاثيوس أسقف سبسطية الذي كان رائد الحياة النسكية في عدة أقاليم من آسيا الصغرى، ومنها بالاخص إقليمي البنطس وقبدوقية، وحتى القسطنطينية. فلقد التحق باسيليوس، حال هجره العالم، بالجماعة العائلية التي أسستها ماكرينة، وكانت والدته إيميليا واخوه بطرس قد انتميا إليها مع آخرين. وإلى هذه الجماعة ذاتها، بعد ان اصبح كاهناً في قيصرية بين الاعوام ٣٦٠-٣٦٥، عاد باسيليوس مراراً للاعتكاف الروحي، قبل أن يستقر نهائياً في قيصرية عام ٣٦٥. ولقد أوضح لنا باسيليوس فكرته عن الحياة الرهبانية من خلال مثابرته على الخبرة النسكية الشخصية في تلك الحقبة وفي تلك الظروف. ففيما رفض باسيليوس العيش في العزلة التامة (ولقد حث غريغوريوس النازينزي على الالتحاق به)، وخارج أية جماعة تلعب دور الملجأ وتكون بمثابة الضمان -قيّم الحياة النسكية على حساب حياة التوحّد. وفيما اعتبر باسيليوس النساك مؤمنين اعتياديين يبغون العيش وفق مبادئ الإنجيل، ونظر إلى حياة النسك بصفتها خبرة مشتركة بين جميع المسيحيين، متحاشياً مفردات المؤسسة الرهبانية -ومستعملاً كلمة "اخوة" للاشارة إلى هذه التجمعات النسكية، كما إلى الكنيسة المحلية- ابى أن ينظر إلى هؤلاء النساك وكأنهم جماعة متميزة في الكنيسة؛ بل بالعكس، أراد أن يضعهم في خدمة الجماعة الكنسية، معتبراً المؤسسات الرهبانية تحت سلطة المسيحيين جميعاً.

لقد وضع باسيليوس قواعد حياة «النساك»، بصفته، اولاً، كاهناً ومن ثم أسقفاً، معتبراً اياها توصيات توجيهية للجماعات النسكية التي زارها. فبعد أن جمع، منذ عام ٣٦٠، نصوص العهد الجديد في كتاب أسماه "القواعد الأدبية"، فقد جمع ايضاً الإجابات التي أعطاها على أسئلة النساك، قبل وبعد انتخابه أسقفاً، في كتاب أسماه "النساك". واستمر تأثيره على الجماعات النسكية في المنطقة بعد أن أصبح أسقفاً لقيصرية. فمن دون ان يكون باسيليوس القيصري قد أسس اديرة، لكنه اضطلع بالإرشاد الروحي لها ووجه الرهبان نحو الفقر والشركة في الخيرات، مع العمل والصدقة، وكذلك العفة، والحث على الطاعة وخدمة الكنيسة التي يرئسها الأسقف. فطالما دعا إلى وحدة المثال المسيحي الأعلى، حتى انه احتضن الأخوات التي كانت تعيش أحياناً على هامش الكنيسة، وشجعها أساقفة اقاليم آسيا الصغرى منذ أواسط القرن الرابع. ويبدو أنه نجح في تأطير جماعات كانت قد انتشرت في آسيا الصغرى خارج رقابة الإكليروس وجعلها مؤسسات. وبحسب توجيهات باسيليوس، يبدو أن التقليد التوحدي كان قد انقرض في قبدوقيا في القرنين الرابع والخامس.

وبحسب شهادة المؤرخ الكنسي سوزومين (منتصف القرن الخامس) كان الرهبان في قبدوقية قد انضووا في جماعات منظمة داخل المدن والقرى، بينما في الفترة ذاتها، كان القبدوقيون الذين اشتهروا في تاريخ الحياة الرهبانية، بصفة متوحّدين، معروفين في الأراضي المقدسة وليس في قبدوقية، ومن أشهرهم، مار سابا مؤسس الدير المعروف باسمه في فلسطين.

من جانب آخر، بقيت الحياة الرهبانية القبدوقية مجهولة إلى حد كبير في الغرب، بالرغم من ترجمة القواعد النسكية التي وضعها باسيليوس إلى اللغة اللاتينية ونشرها في الأوساط الرهبانية الغربية منذ بدايات القرن الخامس، وكأن أعمال أسقف قيصرية الغزيرة عتمت على هذه الحياة النسكية!

من المنسك الى الدير

بقلم كاترين تيرار
جامعة النور – لبون الثانية

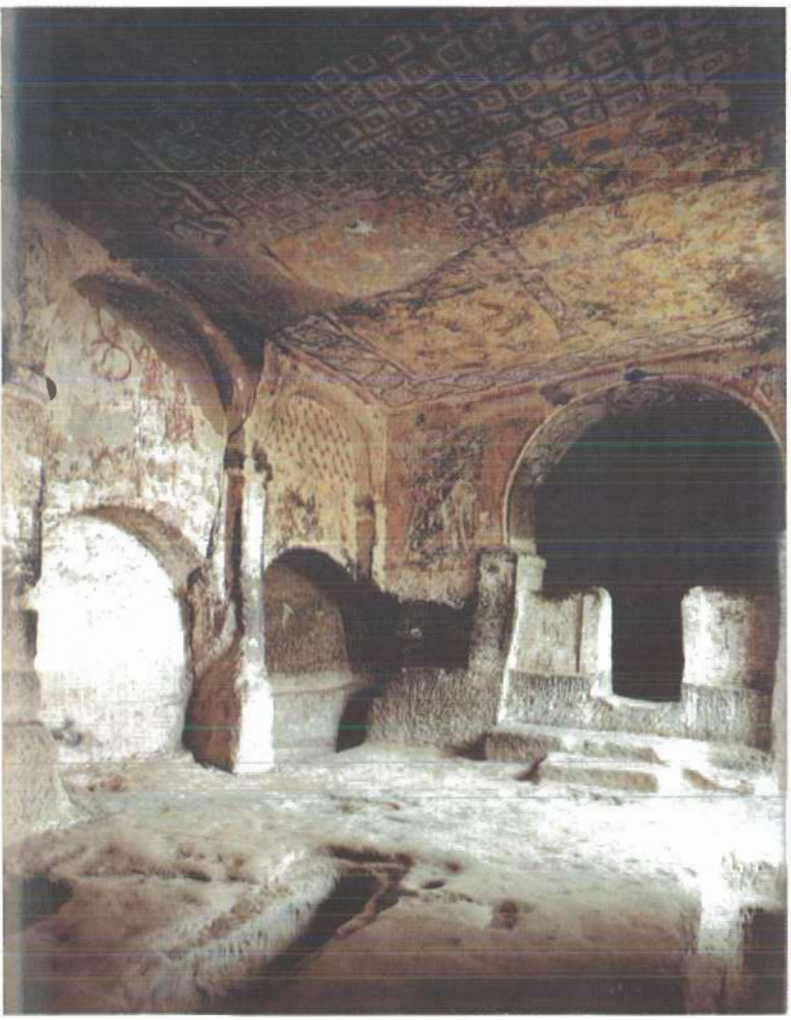

لم يبق إلا النزر القليل من آثار الحياة الرهبانية للقرون المسيحية الأولى في قبدوقية. ولكن، في المقابل، هناك عدد كبير من المباني المكتشفة في منطقة أورغوب خاصة، تشهد على تجدد الحياة الرهبانية في القرن التاسع، بعد أن وسعت الجيوش البيزنطية الحدود الشرقية للإمبراطورية وأتاحت لقبدوقية أن تستعيد كثافتها السكانية. فلقد سكن نساك تلك الحقبة، بصورة رئيسة، في مجمعات صخرية ضمن مناسك. وظهرت للعيان، بصورة بارزة، آثار جماعات منظمة منذ القرن العاشر.

ان المجمع الديري المكرس لرئيس الملائكة ميخائيل، تحت اسم "رئيس الملائكة" قرب سميل، هو أحد أقدم المباني في قبدوقية. أما "بيت القديسين" فيه، والمسمى بكنيسة القديس اسطيفانوس، فهو اعادة استخدام لمقبرة قديمة بعد توسيعها.

"كانت المناسك في الجبال مثل أخبية تسكنها أجواق إلهية، ترتل المزامير، وتقرأ نصوص الكتاب المقدس؛ تصوم وتصلي وتبتهج في رجاء الخيور المستقبلة، وتشتغل كي تستطيع القيام بأعمال الصدقة، وتمارس حياة الحب المتبادل والألفة". هذا المقطع من "حياة مار أنطونيوس" وهو يصف بدايات الحياة الزهدية في مصر في القرن الرابع، يتيح لنا تخيّل النشاط الرهباني الذي كانت تضمه هذه المخروطيات البركانية في قبدوقية.

المناسك

على شاكلة الرهبان العموديين السوريين في القرنين الخامس والسادس، مارس بعض النساك القبدوقيين زهدهم، دون ان يكونوا معلقين على قمة عمود، بل ناصبين مناسكهم في الجزء الأعلى من هذه الأجسام الكلسية المخروطية. وهكذا نجد العمودي نيكيتاس في مدخل وادي "قيزيل سوكور"، بالقرب من "أورطاحصار". وكانت قاعدة الصخرة التي تحمل المنسك تضمُّ كنيسة وغرفاً، مع منشآت زراعية في الجوار.

وكانت كنيسة صغيرة، بالقرب من بلدة "زلفة"، قد خصصت لتكريم شمعون الشيخ، شفيع الناسك المحلي الذي اختار مسكنه هنا. وفوقه وجد منسك بسريرين منحوتين في الصخر للنوم، مع حنايا كانت تستخدم بمثابة دواليب. وكانت هناك، كما يبدو، فسحة مخصصة للصلاة، واخرى لإعداد الطعام.

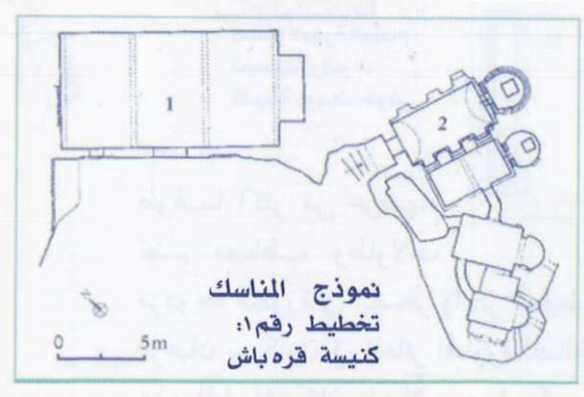

نموذج المناسك
تخطيط رقم١:
كنيسة قره باش

وفي مواقع أخرى، مثل كنيسة "قره باش" (أظر تخطيط رقم واحد)، وكنيسة القديسة بربارة في "صوغانلي"، هناك فضاء مكشوف ينفتح على قاعة مثلثة الأضلاع (١)، وعلى مجموعة من الغرف المنحوتة في الصخر، وفي إحداها كانت الكنيسة (٢). وقد شغل بعض

هذه المناسك لفترات طويلة، كما يشهد على ذلك خضوعها لترميمات عديدة. كما تحولت بعض هذه المناسك إلى دير بفضل سمعة الناسك الذي أسسها، وبفضل سخاء محسن غني.

الأديرة

إن المجمّعات الرهبانية، بالرغم من كونها منقورة في الصخر، وبالتالي خاضعة لمزاج تكوين الأرض التي تحملها، تقسم إلى مجموعتين، وفقاً للنظام الوظيفي الذي تفرضه تركيبتها البيئية الخاصة:

"أديرة الطعام"

لقد أنشئت هذه المجمعات الديرية بين القرنين العاشر وبداية الحادي عشر، على غرار دير "يوسف خوش" (انظر تخطيط رقم ٢)، وكانت تتضمن أساساً كنيسة[1]، وبعض الكهوف المنقورة في الصخر بصورة بدائية، وصالة طعام. كما وجدت في "أديرة الطعام" الأحد عشر المكتشفة؟ في مدخل وادي غوريم، صالة

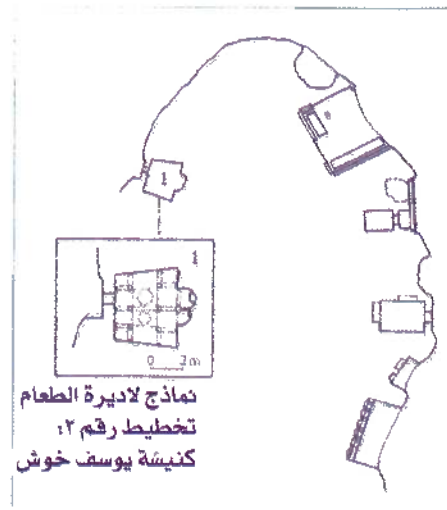

نماذج لاديرة الطعام
تخطيط رقم ٢:
كنيسة يوسف خوش

نماذج لاديرة الطعام
تخطيط رقم ٣: مخطط لاديرة الطعام

طولها اكثر من عرضها، تضم مصاطب وطاولات مزدوجة منقورة في الصخر (انظر تخطيط رقم ٣). غير أن أحداً لا يعرف ما إذا كان الرهبان يسكنون في المغائر المجاورة لصالة الطعام، أو في المناسك القريبة؛ غير أن عدد هذه المناسك كان ضئيلاً. مهما يكن من أمر، فلقد ذهب بعض الباحثين، لدى اكتشافهم التفاوت بين العدد القليل من النساك الذين يحتمل انهم سكنوا في الجوار، وبين طاقة الاستقبال الواسعة التي تتوفر في صالات الطعام هذه -أحياناً حتى الأربعين

شخصاً-، فافترضوا ان هذه الصالات أعدت لاستقبال الحجاج القادمين لزيارة أحد الأماكن المقدسة.

"الأديرة القائمة حول فناء"

على مثال دير "حلاش" (تخطيط رقم ٤)، قرب "أورطاحصار"، والعائد إلى القرن الحادي عشر، تتكون كل هذه الأديرة القائمة حول الفناء من جدران مستطيلة منقورة بدقة توحي بهندسة إنشائية متطورة. وكان الفناء الذي يوفر الهواء والنور يجاور صالة واسعة زيّنت واجهتها في معظم الأحيان، ولربما كانت تستعمل كمدخل (١). ولا شيء في الغُرَفِ الأخرى يوحي بوظائفها، ما خلا الكنيسة (٢) والمطبخ.

كان "دير قره نليك كيليسي" في وادي غوريم (تخطيط رقم ٥) يضّم

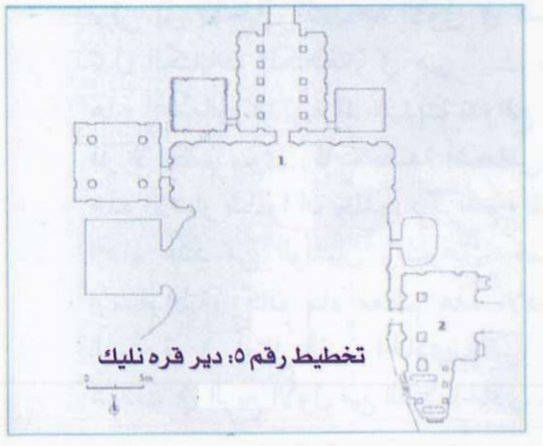

تخطيط رقم ٥: دير قره نليك

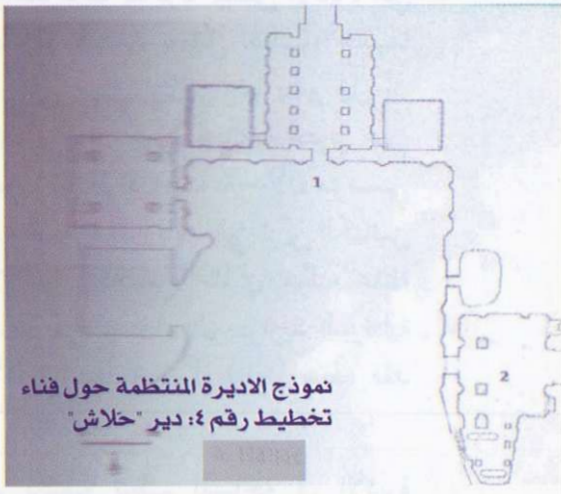

نموذج الاديرة المنتظمة حول فناء
تخطيط رقم ٤: دير "حلاش"

طابقين وصالة طعام، وكانت هذه الصالة مستطيلة، وفي طرفها الشمالي والجنوبي واجهات مزينة، تنتهي في طرفها الشرقي بطاولة ومصاطب منقورة كلها في الصخر.

إن لمعظم الكنائس مداخل خارجية مستطيلة، شكّلت مع جسم الكنيسة هيئة صليب مجسم. وكان يعلو الفضاء الأوسط قبة ترتكز على كبوش بارزة، بينما كانت أذرعُ الصليب تحمل أقواساً على هيئة أقواس المهد. وان وجود بعض بقايا الطاولات والمصاطب أتاح التعرف على بعض صالات الطعام. أما المطابخ المربعة الشكل، فكانت تعلوها قباب أو سقوف مخروطية الشكل تخترق قمتها فتحات لتصريف الدخان.

إن غياب الأماكن المخصصة لسكنى الرهبان، وكذلك وجود مناسك في الجوار، يدعواننا الى الافتراض بان النساك كانوا يعيشون متوحدين في غالب الأوقات، و لم يكونوا يجتمعون في هذه الأماكن إلا في المناسبات. ويبدو ان القوانين التي فرضها الامبراطور جوستنيانس، في القرن السادس، والتي كانت تقضي بأن تكون الأديرة مزودة بقاعات للنوم، وتلزم رؤساء الجماعات الرهبانية ألا يسمحوا للنساك بالعيش منفردين إلا بشكل استثنائي.. لم تطبَّق في هذا الإقليم من الإمبراطورية.

ان العناية في انشاء هذه المجمعات تطلّبت ولاشك جهوداً بشرية كبرى ومالاً وفيراً. فلم يكن بوسع هذه الأديرة ان تُنجز إلا برعاية ودعم شخصيات ثرية؛ والدليل على ذلك، اللوحات التي تمتاز في هذه المجمّعات عن تلك التي نراها في "أديرة الطعام". كما أن النظام المعماري لهذه المجموعات يذكرنا ببعض الأديرة التي ترقى إلى الأجيال المسيحية الأولى في فلسطين، وقد شيدت بفضل الهبات، حسبما تدل الكتابات المكتشفة، في دير "بيث شآن"، على سبيل المثال. ومما يشير إلى أن هذه المجمّعات الديرية قد شيدت بدوافع التذكار، وجود حُجرة جنائزية تحتوي على قبر لا يضم سوى رفات بضعة أشخاص —وليس كل أفراد الجماعة– لأن مؤسسي هذه الاديار شاءوا ان يخلّدوا ذكراهم وتقواهم. وتحمل الجداريات التي تزيّن الكنائس اسماء عدد من الواهبين والمتبرعين. فما خلا دير "كاليسي" الذي موّلته عائلة ارستقراطية، كان بناء معظم هذه الأديرة بدعم من أعضاء البرجوازية البيزنطية الصغيرة، في أوائل القرن الحادي عشر. أما الأديرة المنتظمة حول فناء أوسط، فقد شيدت في الربع الأول من القرن الحادي عشر.

من جانب آخر، إذا كنا على علم بكيفية تنظيم المساحة في الأديرة القبدوقية —كونها محددة في صلب المخروطيات البركانية– فمعلوماتنا عن نظام حياة الرهبان المادية تبقى مبهمة. وما خلا التأسيسات المطبخية، لا نجد أثراً لأي نشاط يومي (بعكس مناطق أخرى، وعلى حقبات تاريخية مختلفة، حيث تأتي النصوص المكتوبة لتعوّض عما عجزت الحفريات الآثارية العثور عليه على الارض). غير أن الهندسة المعمارية للأديرة القبدوقية نفسها، من القرن التاسع وحتى الحادي عشر، فتعود، على ما يبدو، إلى النمط التقليدي للعهد المسيحي الأول. وبالفعل، ففي نهاية كل من هاتين الحقبتين، تظهر الأديرة المنتظمة حول فناء داخلي، وفي الحالتين يرجع تنفيذها إلى محسنين أثرياء.

حرب الصور

انصار الصور ومناوؤها

بقلم ماري فرانس أوزيبي

أستاذة في جامعة باريس الثامنة

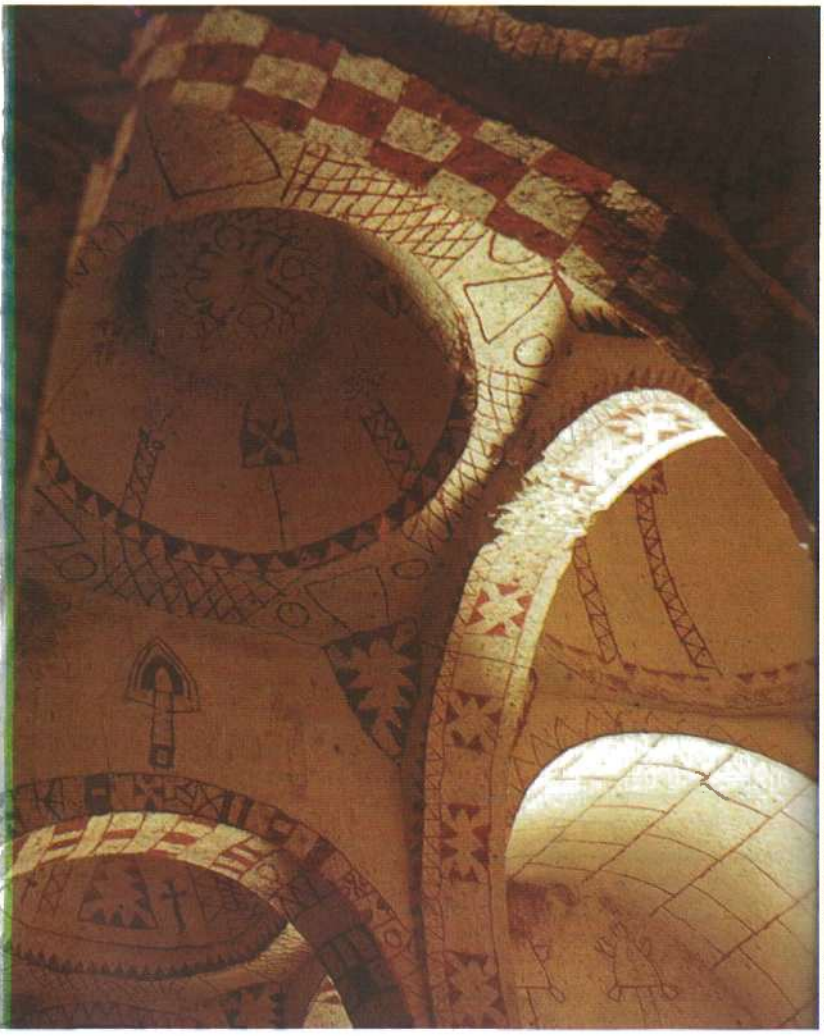

"حرب الصور"، او "أزمة الأيقونات" كما دعيت، او "محاربة الأيقونة"، حالة تشير إلى حقبة ما بين ٧٣٠-٨٤٣ حين منعت الإمبراطورية البيزنطية صور المسيح ومريم والقديسين من الكنائس، وحظرت رسمها. وتقدم لنا قبدوقية بعض نماذج نادرة لزينة الكنائس في تلك الحقبة، زينة لم تعد سوى اشكال هندسية، ورسوم نباتية وبعض الصلبان.

زينة كنيسة القديسة بربارة في غوريم (القرن ١١) على النمط المضاء للإيقونات. زينة مجردة على الحجر مباشرة.

ما أغزر الجدالات بين المختصين حول حقبة الايقونات (٧٣٠-٨٤٣)، وقد اختلفت آراؤهم فيها. ولا غرابة في ذلك، إذ ان تساؤلات الباحثين المعاصرين تعكس ندرة المصادر، إضافة إلى كون هذه المصادر ذاتها ترقى، كلياً أو جزئياً، إلى المنتصرين على "مناوئي الإيقونات"، أي الى الذين كانوا يدعون "عبدة الصور" (iconodoules من اليونانية: doulos، خدام أو عبيد، و eikôn صورة)، وكانوا جميعاً من رجال الكنيسة. فمن النصوص الصادرة عن الأباطرة "مناوئي الإيقونات" (iconoclastes) (من اليونانية: klaô بمعنى "احطّم" الصور)، لم يبق سوى نص تشريعي يدعى "ايكلوغا" (Ecloga)، الذي لولاه لما نجت الإيقونات من التحطيم الشامل. ومن النصوص المتبقية أيضاً: قرارات مجمع هيريّا (٧٥٤) التي فنّدها مجمع نيقية الثاني، نصير الإيقونات؛ بعض عبارات استخدمها الإمبراطور قسطنطين الخامس (٧٤١-٧٧٥) بشأن اللاهوت، ذكرها البطريرك نيسيفور (٨٠٦-٨١٥) ليدحض شططها بقوة أكبر؛ ومن المصادر الأخرى أيضاً: شذرات كبيرة من مجمع القسطنطينية (٨١٥)؛ فقرات تصف انتصار الإمبراطور تئوفيلس (٨٢٩-٨٤٢) وردت في بحث بعنوان "الاحتفالات" (Cerimoniis). غير ان هذه الأسمال الشاهدة على سياسة مناوئي الإيقونات وأساليب تفكيرهم كانت عاجزة تماماً عن أن تنافس المصادر المؤيدة للإيقونات: من عاديات، وسير قديسين، ومؤلفات جدلية، وأعمال مجامع... وهي، بمجرد وجودها، ترسم تاريخ تلك الحقبة وفقاً لمنظورها. لاشك أن هذه النصوص كانت عدائية انتقامية وشرسة ضد مناوئي الإيقونات؛ ولكنها بدت في حينه ضرورية لتطهير الذاكرة منهم وترسيخ ما دعي من ثم "انتصار الأرثوذكسية"، أي التأكيد على أن صور العبادة، أي الإيقونات، هي بمثابة حجر الزاوية في ذهنية المسيحية الشرقية.

وإذا كان بوسعنا ان نكتب تاريخ ظاهرة "مناوءة الايقونات"، فهو انها أصبحت العقيدة الرسمية للإمبراطور عام ٧٣٠، عندما أصدر لاون الثالث (٧١٧-٧٤١) أمراً إلى كبار موظفي الإمبراطورية، في ١٧ كانون الثاني، بالتوقيع على بيان رسمي مناوئ لعبادة الإيقونات؛ وبمقتضى هذا البيان يخضع للملاحقة كل من يرفض التوقيع. وممن رفضوا التوقيع جرمانوس بطريرك القسطنطينية (٧١٥-٧٣٠) الذي خلع من منصبه.

لقد سبقت هذا الموقف الرسمي سلسلة من الخطابات ألقاها الإمبراطور، ولربما سبقته حادثة تحطيم صورة للسيد المسيح سنة ٧٢٦، معروفة باسم إيقونة كلخي، وجدت على باب البلاط الإمبراطوري. وكان قبل عام ٧٣٠، ان أساقفة من فريجية في آسيا الصغرى (توما السينادي وقسطنطين الناقولي) قد منعوا عرض الإيقونات في أبرشياتهم، مما

عرضهم لتأنيب البطريرك جرمانوس. ولم تعد المصادر تذكر شيئاً عن مناوءة الأباطرة للإيقونات قبل سنة ٧٥٤؛ ففي تلك السنة، جاء قسطنطين الخامس، نجل لاون الثالث، ليجعل من مناوءة الإيقونات قاعدة سياسته الدينية لعموم الإمبراطورية، داعياً إلى مجمع عرف باسم مجمع هيريّا -وقد خَلَعَ على نفسه صفة المسكوني- منع صناعة الإيقونات وتكريمها، معتبراً مثل هذا التكريم عبادة أصنام. واذا كانت قمة عبادة الأصنام ترقى أساساً إلى تطبيق حرفي لنص سفر الخروج (٢٠: ٤)، الا انها تندرج، في ما يخص صور السيد المسيح، في سياق المجادلات اللاهوتية الكريستولوجية (التي تخص شخص المسيح): فرسم المسيح عُدّ، على سبيل المثال، سقوطاً في الهرطقة النسطورية، على اعتبار أن شخص الإنسان يسوع هو وحده الذي يرسم!

ويبدو أن قرارات المجمع المذكور قبلت بيسر في الإمبراطورية حتى عام ٧٦٦، حين قامت مؤامرة ضد الإمبراطور، تسببت في أزمة عنيفة: على إثرها فرض الإمبراطور قسَماً على كافة رعاياه لمناوءة الصور، وأنقضّ الاضطهاد على جميع الرافضين، رهباناً وعلمانيين. وأضاف الإمبراطور قسطنطين الخامس إلى العقوبات المألوفة -وهي النفي والتعذيب الجسدي ومصادرة الممتلكات- صنوفاً جديدة من طقوس السخرية من الرهبان، فكانوا يقودونهم إلى ميدان سباق الخيل حيث ينزعون عنهم ألقابهم أمام الناس وتُحَزّ لحاهم وتُخلع عنهم ثيابهم.

الايقونة ونموذجها

توقفت الأزمة لدى وفاة الإمبراطور قسطنطين الخامس، وللحال تغير نمط السياسة الدينية الإمبراطورية، حين ألغى مجمع نيقية الثاني (٧٨٧) -وقد دعت إليه الإمبراطورة ايرينة- قرارات مجمع هيّريا، وأقرّ صناعة الصور الدينية وتكريمها. واستُبعدَت تهمة عبادة الأصنام التي أُلحقت بتكريم الصور، عندما أُقرت العلاقة بين الإيقونة ومن تمثّل، بصفتها نموذجاً؛ فبموجب هذه العلاقة يشكل التكريم المقدم إلى الإيقونة بمثابة تكريم للنموذج الأصلي الذي تمثّله ايقونته. وكذلك الأمر بالنسبة إلى التجسد -وأصبح من الممكن رسم شخص المسيح، طالما انه شوهد في الجسد- حيث اصبح بالامكان ازاحة الاعتراضات الكريستولوجية ضد صور المسيح.

ومكثت الإمبراطورية إلى جانب تأييد الصور حتى عام ٨١٥. الا ان الإمبراطور ليون الخامس عاد إلى مناوءتها. كما عاد إلى تكرار -مع اضافة- ما فعله ليون الثالث، بإصدار الأوامر إلى جنوده لتحطيم صورة المسيح المرفوعة على باب بلاط كلخي، وقد

دعا إلى مجمع محلي في القسطنطينية أعاد فيه الاعتبار إلى مجمع هيريّا، وألغى قرارات مجمع نيقية الثاني. وكانت ردة الفعل هنا أكثر حدة مما في عام ٧٥٤. فلقد رفض الأمر البطريرك نيسيفور وعدد من الأساقفة ورؤساء الأديرة: فخُلع البطريرك من كرسيه، وسيق الباقون إلى المنفى. ولم يُعادوا إلى بلادهم إلا لدى ارتقاء ميخائيل الثاني العرش (٨٢٠-٨٢٩)، غير أنهم لم يعادوا إلى مناصبهم.

وكان الإمبراطور ميخائيل الثاني معتدلاً في مناوءته للصور، بعكس نجله تئوفيلس (٨٢٩-٨٤٣) الذي اختار يوحنا القواعدي (٨٣٦-٨٤٢) بطريركاً، وعاد إلى سياسة الاضطهاد ضد مؤيدي الصور (أمثال البطريرك اللاحق ميتوديوس، وميخائيل السانسيلي، والأخوة غرابتوي). ولدى موت تئوفيلس عام ٨٤٢، تقرر إعادة الشرعية إلى تكريم الصور: فيما حصلت تئودورة، زوجة الإمبراطور تئوفيلس، على الحل الكنسي لزوجها، قبلت بتعيين ميتوديوس بطريركاً، ومنذئذ عمل الاثنان معاً على إعادة المياه إلى مجاريها. وتمّ ذلك من دون مجمع، بل اقتصر على احتفال ليتورجي بسيط وتطواف وقداس في كنيسة الحكمة المقدسة، آجيا صوفيا، يوم ١١ آذار من عام ٨٤٣، الموافق للأحد الأول من الصوم الكبير، وقد أعتبر أحد الأرثوذكسية. ففي هذا الاحد الذي احتُفل فيه بانتصار الارثوذكسية، قرئ بيان "سينوديكون الأرثوذكسية"، وهو نص رسمي يلعن الهراطقة مناوئي الصور، وينادي بالشهداء ضحايا تكريم الصور. وهكذا تذكّر الكنيسة سنوياً، عبر الليتورجيا، بالغلبة على مناوئي الصور وانتصار الإيقونة.

لقد بقيت طويلاً دوافع زوبعة مناوءة الصور خفية، وتوالت النظريات المفترضة حولها: فعلى ضوء الخيط الذي توحي به النصوص الجدلية ضد مناوئي الصور، اعتُبر ليون الثالث، أول الأمر، انه تأثر بمثال اليهود والمسلمين. ولكن.. إذا صح أن تيار مناوءة الصور قد شهده الدين اليهودي في القرنين السادس والسابع، وان الخليفة يزيد منع، عام ٧٢١، الصور الدينية في الكنائس التابعة لخلافته، فانه من الصعب، كما يبدو، أن يكون الإمبراطور قد استوحى نهجه من أوساط اليهودية أو الإسلام، هو الذي فرض التنصر بالقوة على اليهود، وحارب المسلمين دون هوادة، منقذاً القسطنطينية من حصارهم المروّع عام ٧١٧. وإذا كان ثمة تأثير ما، فهو انما تأثير غير مباشر.

بعد ذلك توجهت التحليلات والبراهين إلى السوابق التاريخية في معاداة الصور في آسيا الصغرى، فكان التأكيد على أن مناوءة الصور هي حالة شرقية، دعمها الأباطرة الشرقيون، وأن الشرق كان اصلاً مناوئاً للصور، بينما كان القسم الغربي من

الإمبراطورية، بطبيعته، مؤيداً للصور. وجاءت الحفريات لتفند لا منطقية هذه النظرية: من الواضح بان لا أثر، في آسيا الصغرى الهللينية، اولاً، والرومانية من ثم، لأي تقليد مناوئ للصور.

فلتفسير قرارات ليون الثالث، قد يكون من الأفضل الانطلاق، لا من الصور ذاتها، بل من وضع الإمبراطورية: ففي عام ٧١٧، حين تسلم ليون الثالث مقاليد الحكم، كانت الإمبراطورية، بحسب المصادر، مهددة بالموت، وكان ناقوس الخطر يدق بشدة، حين احتلّ العرب المسلمون كافة أراضي آسيا الصغرى، وحاصروا العاصمة براً وبحراً؛ و لم تنج القسطنطينية من الحصار إلا بأعجوبة اتخذ منها الامبراطور مجداً، وأصابه الزهو، ولكن الوضع بقي ميئوساً منه: ذلك ان نيقية حاصرها جيش عربي ضخم سنة ٧٢٧، والحملات السنوية على آسيا الصغرى اصبحت اعتيادية؛ وقبدوقية، كسائر أقاليم آسيا الصغرى، عانت كثيراً من هذا الوضع: فبحسب "حوليات" تيوفان، أشتى الجيش العربي فيها في ٦٦٦-٦٦٧؛ وفي ٧١٥-٧١٦ أمسى مصيرها رهن قرار القادة العرب الذين تلقّط وفادةً من اهالي قبدوقية؛ وفي ٧٣٨ ايضاً، وصل جيش عربي إلى أبواب تيان، قوامه ٦٠٠٠٠ مقاتل. وفي مثل هذا الوضع، كان على الإمبراطور، وهو يعي دوره بصفته "راعياً للشعب المسيحي"، أن يبحث عما اعتبره عقاباً إلهياً لشعبه، ويسعى الى ما يجنيه غضب الله الذي كان قد حلّ بالشعب اليهودي: المنفى. واكتشف الإمبراطور على الفور، في هذا الخط التوراتي، ان خطيئة شعبه هي عبادة أصنام؛ ذلك أن تكريم الصور كان منذ أواخر القرن السابع قد انتشر انتشاراً واسعاً، واتخذ أشكالاً وصيَغاً -من مثل التبخير، والشموع، والركوع، والتقبيل- كان بالامكان ان تُفَسَّر وكأنها عبادة تؤدى للمادة. ناهيك عن ان مظاهر الاحترام المتبعة في حضرة الإمبراطور، وأمام الإيقونات، من مثل الركوع العميق بلوي الركبتين على الأرض ولصق الوجه بالأديم.. كان بوسعها ان تعطي الانطباع بانها شكل من اشكال الصنمية، وكأن "الخليقة تحظى بسجود أوفى من الخالق". ففي هذا الجو الفكري، لِمَ لا نصدق شهادة المصادر التاريخية عندما تنقل إلينا أن الإمبراطور ليون الثالث قرأ حدث انفجار بركان سانتورين عام ٧٢٦ كونه مظهراً من مظاهر غضب الله تجاه شعبه بسبب عباداته الصنمية؟ ويميل المحللون اليوم إلى اعتبار سياسة ليون الثالث وقسطنطين الخامس في مناوءة الإيقونات بمثابة الوجه الديني الآخر من حملتهما الإصلاحية الواسعة في الميادين العسكرية والإدارية والقضائية والمالية، وقد نجحا من خلالها في إنقاذ الإمبراطورية من التهديد الخارجي.

تكريم الصليب

لم تختف مناوءة الأيقونات، لا في عام ٧٨٧ ولا في عام ٨٤٣ بشكل عام، كما تعلن المصادر عن ذلك. وخير شاهد هي قبدوقية حيث نجد كنائس، من دون ايقونات، يصعب تحديد تاريخها، ولكنها تحوم حول القرن العاشر. ففي زينتها يتخذ الصليب العنصر الأساس (دير باسيليوس في نواحي اوكوب، ودير ما اسطيفانوس بالقرب من سيميل). وان الأسر الكبرى من الارستقراطية القبدوقية، وفي مقدمتها الفوكاس –وقد أعطت إمبراطوراً لبيزنطية في نهاية القرن العاشر– حفظت هي أيضاً تقليداً يرقى الى حقبة مناوئي الصور، وهو التقليد الذي بموجبه تحمل الاختام شكل صلبان. كما ان ليون الثالث وقسطنطين الخامس، إزاء العدو غير المسيحي، كانا قد الحّا على تكريم الصليب، رمز انتصار المسيح وانتصار الإمبراطور المسيحي؛ وقد اعتاد الموظفون في البلاط ان يزينوا أختامهم بنقوش على شكل صليب. ولما كانت قبدوقية إقليماً حدودياً مع بلاد الإسلام، وبالتالي إقليماً حربياً، فقد استطاع ان يحتفظ –طالما كان مهدداً بأعداء الصليب– بسمات تعكس تيار مناوءة الايقونة الذي كان قد اختفى في الأقاليم الآمنة. وهكذا تلقي قبدوقية نوراً على تاريخ الأزمنة المظلمة الذي لا نعرفه جيداً بصدد "مناوءات الإيقونات".

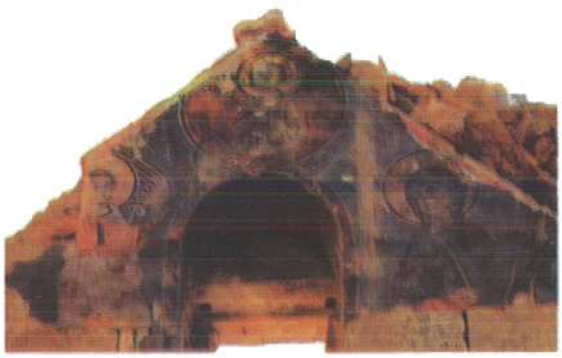

رسم جداري في كنيسة دير مار موسى الحبشي البشارة (القرن ١٣)

دير مار موسى الحبشي /النبك - سوريا

كنيسة ام الله

بحسب د. وب كوبري
على رأس اتحاد "اصدقاء قبدوقية" - باريس
(حديث سجلته ماري بوينس)

"ميريمانا كيليز"، كنيسة ام الله، بمحاذاة موقع غوريم، والقريبة من كنيسة توكالي، نقرت في منتصف الطريق بين السماء والارض، وسط مرتفع صخري كلسي على بعد ٢٢م فوق الوادي. موقع رائع، وهندسة ورسوم ولا اروع! وكان المخرج الكبير بازوليني قد اختارها لفيلمه "ميديا" عام ١٩٦٩، واليوم هي مهددة بالانهيار اذا لم تمتد إليها اعمال الصيانة.

بالقرب من موقع يطرقه الزوار كثيراً، ما زالت كنيسة ميريمانا شبه مجهولة! ولم تعد زيارتها مسموح بها منذ عام ١٩٧٦ بسبب مخاطر انهيار المبنى الذي يحتضنها. الاب غيوم دي جيرفانيون اليسوعي، اكبر مكتشفي الكنائس الصخرية في قبدوقية، دخلها عام ١٩١١ وترك لنا تقريرا حيا عن اكتشافاته. استخدمت الكنيسة حتى عام ١٩٦١ مكاناً لتربية الطيور، مما اسهم في الحفاظ على رسومها الجدارية!

هندستها المعمارية تدهش كثيراً. فالجنحان الموازيان لصحن الكنيسة، احدهما كبير والآخر اصغر، يلتقيان في الجدار مشترك لا يستند إلى شيء: لا اعمدة ولا قاعدة؛ انه نقر في الصخر ما زال قائما منذ الف سنة! والى جانب فرادة هذه الهندسة، هناك رسوم ترقى إلى القرن الحادي عشر. الوان هادئة على خلفية رمادية زرقاء، والوان وردية تتلاشى، واخرى شبه صفراء. وإلى عذوبة الألوان تضاف عذوبة النظرات: نظرة مريم التي شُيدت الكنيسة على اسمها، ونظرة المسيح، ولكن ايضا نظرة الشهداء وآباء البرية ونساء قديسات في صلاة. اما الوجوه، فهي متقدة ومشعة بالحضور، وتبدو وكأنها تنحني باتجاه المؤمن في أي موقع وُجد فيه داخل الكنيسة...

ويسعى اتحاد "اصدقاء قبدوقية" إلى اطلاق حملة تجنّب المضيق من الانهيار (انظر صورة رقم ٤٦) والذي يذهب بكنيسة ميريمانا. ولقد انهار احد الاجنحة الثلاثة ضحية الانجرافات الصخرية، فضلاً عن شق عمودي كبير شطر الكنيسة إلى قسمين. ومشروع الصيانة الوقائي يقوم في تحويل الجدول إلى نفق وردم قاعدة المضيق لتقويتها. ويبدو ان دعماً مادياً معقولاً بوسعه ان ينقذ كنيسة ميريمانا...

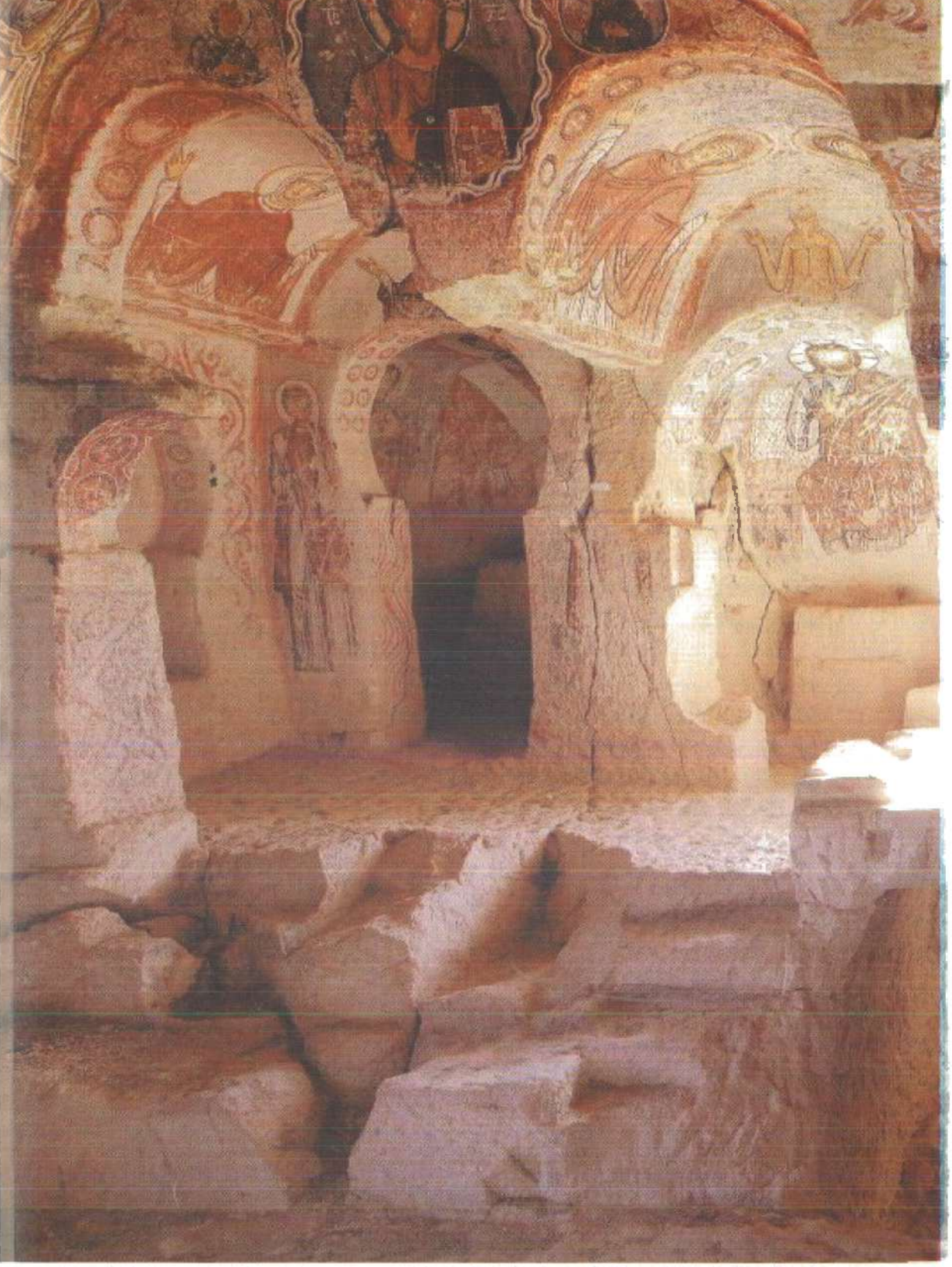

تقوم الكنيسة على خط من ثلاثة اجنحة متلاصقة، يفصلها عن الصحن ممشى اضافي تسهل معه التطوافات. اما الارضية، فهي على مستويين: فالصدر والممشى هما على ارتفاع حوالي ١,٢٠م بالنسبة إلى الصحن.

زمن التجسد

شق واسع يخترق قبة الصحن. اربعة مشاهد من حياة العذراء، محكية بايجاز، تبلغ بنا الى زمن الكلمة المتجسد.

على طريق بيت لحم

الميلاد قريب، نحن بازاء آلام التقليد المنحول لانجيل يعقوب التمهيدي (منتصف القرن الثاني) تقول مريم ليوسف: أنزلني من الحمار، لأن ما احمله يستحثني للخروج. والحركات بليغة بقدر بلاغة النظرات. وكأن الشعور الأليم اخذ يظهر. وقبالة هذا المشهد، ومن الطرف الآخر من القبة: ألم الموت، مشهد الصلب.

الميلاد

إلى يمين مشهد الصعود إلى بيت لحم، الميلاد. مريم مستلقية على سرير بجانب الطفل المقمط. الانظار في بحث، والوجوه تنحني لبعضها. وبوسعنا ان نقرأ التساؤل بشأن مصير هذه الحياة التي بدأت: انه التساؤل حول بروز الالهي في البشري.

الصلب

العيون المفتوحة تضمحل، ورأس يسوع ينحني باتجاه مريم. ولم يبق من العذراء سوى ذراع ممدودة وكأنها تقول: انظروا وجعي! وكان سمعان في هيكل اورشليم قد انبأ قائلاً: سيجوز سيف في قلبك. وهو، عند إقدام الصليب، يبدو في وضع المتالم الباكي.

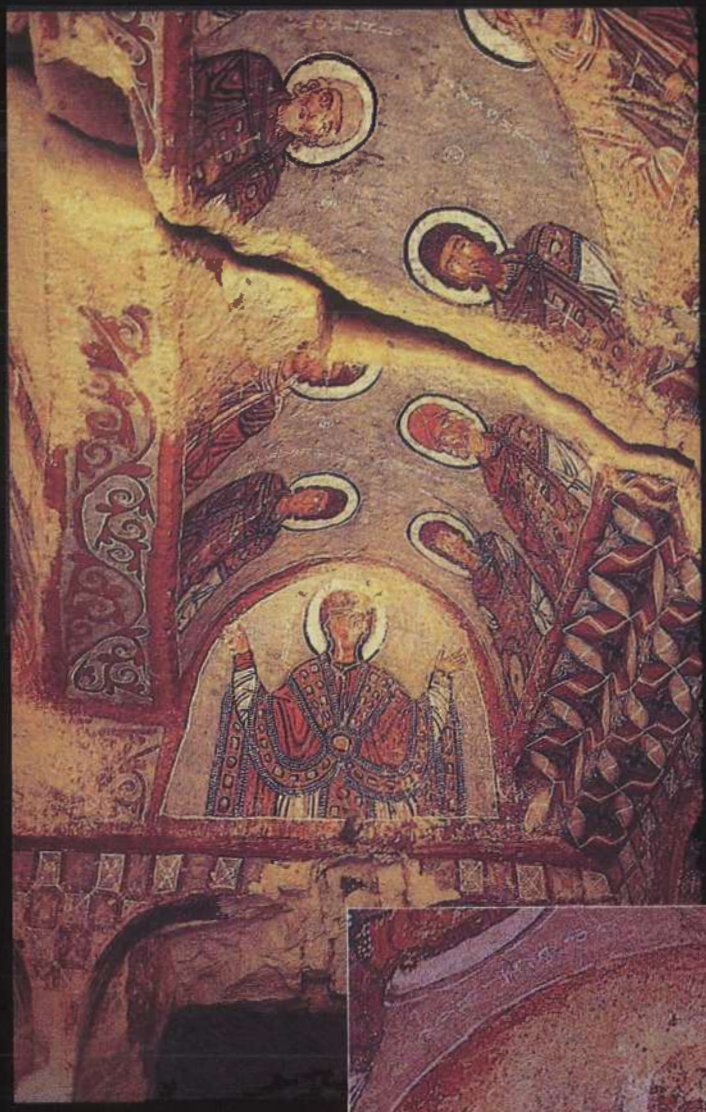

مار داريوس

بالرغم من قبعته الارمنية الحمراء، نراه يضم شفتيه. ونظرته المهيبة تكشف عن ايمانه، كما في يوم استشهاده.

مار استراتيوس

من شهداء القرن الرابع في سبسطية (ارمينيا) في عهد الامبراطور ديوقلتيانس، انه يعكس عين الايمان وعين الثبات الهادئ.

زمن الشهداء

على سقف الصحن، وكأننا على مشارف السماء، هؤلاء الشهداء الفرس وجهاً لوجه ازاء شهداء الارمن في سبسطية.

زمن الصلاة

بعد زمن الاضطهاد، بدأ زمن النساك والنساء القديسات. باجسام نصفية، وكل في قبة او قوس، يرفعون الايدي في حركة الصلاة المألوفة. وبهيئة الصلاة التقليدية ذاتها.

في هيئة الصلاة ذاتها

على الجبهة المثلثة التي تعلو مداخل صدر الكنيسة حيث تقام الافخارستيا: القديس اونوفريوس الذي تغذى بالخبز السماوي في برية طيبائيد، رسم عاريا. والقديس زوزيمس الذي اعطى التناول إلى مريم المصرية، وقد رسمت بالزي الرهباني، كما رسمت النساء القديسات من شهيدات وراهبات او صانعات عجائب (في الاعلى: باراسكيفي بزي رهباني؛ في الاسفل: القديسة اودوكسيا الشهيدة).

ملفات الكتاب المقدس

مجلة بيبلية متخصصة مصورة، معربة عن الفرنسية *Les Dossiers de la Bible* تصدر منذ عام ٢٠٠٠ عن دار بيبليا للنشر بوتيرة اربعة ملفات في السنة.

السنة الاولى: ٢٠٠٠

١- الحديث عن القيامة/أيلول
٢- الافخارستيا/ كانون الأول

السنة الثانية ٢٠٠١

٣- ايليا واليشاع/كانون الثاني
٤- امثال يسوع/نيسان
٥- ما وراء الموت/تموز
٦- عجائب يسوع/تشرين الأول

السنة الثالثة ٢٠٠٢

٧- قراءة في انجيل متى/كانون الثاني
٨- اعمال الرسل/نيسان
٩- قراءة في مؤلف لوقا/تموز
١٠- حزقيال النبي/تشرين الأول

السنة الرابعة ٢٠٠٣

١١- اناجيل الطفولة/كانون الثاني
١٢- القديس بولس/نيسان
١٣- سفر يونان/تموز
١٤- كنيسة البدايات/تشرين الأول

السنة الخامسة ٢٠٠٤

١٥- القديس مرقس/كانون الثاني
١٦- سفر المزامير/نيسان
١٧- النبي عاموس/تموز
١٨- صلاة الابانا/تشرين الأول

السنة السادسة ٢٠٠٥

١٩- انجيل يوحنا/كانون الثاني
٢٠- الروح القدس/نيسان
٢١- الاناجيل المنحولة/تموز
٢٢- اشعيا النبي/تشرين الأول

السنة السابعة ٢٠٠٦

٢٣- سفر ايوب/كانون الثاني
٢٤- ارميا النبي/نيسان
٢٥- سفر الرؤيا/تموز
٢٦- الغفران في ك. م. /تشرين الأول

السنة الثامنة ٢٠٠٧

٢٧- اشعيا الثاني وتلاميذه/كانون الثاني
٢٨- أوجه يسوع/نيسان
٢٩- الآلام بحسب يوحنا/تموز
٣٠- سفر الخروج/تشرين الأول

السنة التاسعة ٢٠٠٨

٣١- لا فقراء بعد اليوم!/كانون الثاني
٣٢- الآلام بحسب انجيل لوقا/نيسان
٣٣- روح العنصرة/تموز
٣٤- العهد: من سيناء الى يسوع/تشرين الأول

السنة العاشرة ٢٠٠٩

٣٥- العماد في ك.م.+عدد خاص/كانون الثاني
٣٦- بولس وقورنتس/نيسان
٣٧- حين يتكلم الله/تموز
٣٨- مريم، ام يسوع/تشرين الأول

السنة الحادية عشرة ٢٠١٠

٣٩- اورشليم مدينة السلام/ كانون الثاني
٤٠- كما في الكتب/ نيسان
٤١- واعطاها اسما (الحيوانات في ك.م.)/نيسان
٤٢- روايات الكتاب المقدس/ تشرين الاول

السنة الثانية عشرة ٢٠١١

٤٣- الجبل في الكتاب المقدس/كانون الثاني
٤٤ — الحرب والسلام/نيسان
٤٥ — ابراهيم خليل الله/تموز
٤٦ — طرق لتفسير الكتاب المقدس/تشرين الال

السنة الثالثة عشرة ٢٠١٢

٤٧- ملائكة الميلاد/ كانون الثاني
٤٨ — يسوع من الناصرة/نيسان
٤٩ — هل املى الله الكتاب المقدس/ تموز
٥٠ — الله الخالق /تشرين الأول
(يظهر عدد خاص بمناسبة اليوبيل الفضي مع الملف ٥١)

تتوفر مجموعات من الملفات باسعار مخفضة

مجموعة ٧ اعوام (٢٠٠٦ — ٢٠١٢)	الملفات ٢٣ — ٥٠	٢٨٠٠٠ د.
مجموعة ٦ أعوام (٢٠٠٦ — ٢٠١١)	الملفات ٢٣ — ٤٦	٢٤٠٠٠ د.
مجموعة ٣ اعوام (٢٠١٠ — ٢٠١٢)	الملفات ٣٩ — ٥٠	١٢٠٠٠د.
مجموعة عامين (٢٠١٠ — ٢٠١١)	الملفات ٣٩ — ٤٦	٨٠٠٠ د.
مجموعة عام ٢٠١٢	الملفات ٤٧ — ٥٠	٥٠٠٠د.

مختارات الفكر المسيحي

سلسلة توثق ما نشرته مجلة الفكر المسيحي بين الاعوام ١٩٧١-١٩٩٤، لا سيما في ابوابها الثابتة

صدر منها سابقا:

(-) تاريخ الكنيسة الشرقية (الموصل ١٩٧٣)، همسات ابو فادي /ج١ (بغداد ١٩٨٥)، ابت هذه مشكلتي (بغداد ٢٠٠٤) ومنذ عام ٢٠٠٦ عمدت دار بيبليا للنشر إلى مواصلة إصدار كتب هي بحق "مختارات الفكر المسيحي"

ظهر منها

٣

٢٩٠ص/٢٠٠٦(٢٥٠٠د.)

٤
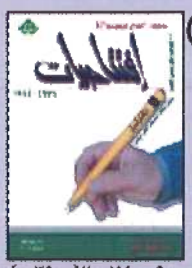

٥٠٠ص/٢٠٠٧(٣٥٠٠د.)

٥

١٨٠ص/٢٠٠٧(٢٠٠٠د.)

٦

٢٨٤ص/٢٠٠٨(٢٥٠٠د.)

٧

٢١٠ص/٢٠٠٩(٢٠٠٠د.)

٨

٥٠٨ص/٢٠١٠(٣٥٠٠د.)

٩

٢٩٢ص/٢٠١١(٣٠٠٠د.)

١٠

٤٨٠ص/٢٠١١(٣٥٠٠د.)

بيبليا للنشر ٢٠١٢
٤٤٠ص/ (٥٠٠٠د.)

الكتابان معاً: ٩٠٠٠د.

بيبليا للنشر ٢٠١٢
٤٥٢ص/ (٥٠٠٠د.)

اعلان:

تتوفر اعداد من مجلة الفكر المسيحي للسنوات ١٩٧١-١٩٩٤، في شكل مجموعات:

• المجموعة الكاملة (بكمية محدودة)	٢٤ عاماً	٢٥٠٠٠٠د.
• المجموعة الكاملة (عدا ١٩٧٥-١٩٧٧)	٢١ عاماً	١٠٠٠٠٠د.
• مجموعة إعداد ١٩٨١-١٩٩٤	١٤ عاماً	٥٠٠٠٠د.
• الاعداد الخاصة للاعوام ١٩٧٨-١٩٩٤	(١٦عدداً)	٧٠٠٠د.

سلسلة ابحاث كتابية

وبضمنها سلسلة تفاسير

ظهر منها

١. قراءة مجددة للعهد الجديد	تأليف: أ. بيوس عفاص	١٩٩٩/٥٤٠ص	(٤٠٠٠ د)
٢. يسوع الذي من الناصرة، بقلم مرقس الانجيلي	تعريب: أ. بيوس عفاص	٢٠٠٢/٢٣٤ص	(١٠٠٠ د)
٣. قراءة في العهد القديم/ج١: قبل الجلاء		٢٠٠٣/٢٤٠ص	(١٥٠٠ د)
٤. قراءة في العهد القديم/ج٢: من الجلاء الى يسوع		٢٠٠٤/٢٧٢ص	(٢٠٠٠ د)
٥. قراءة في العهد الجديد/ ج١: الاناجيل الاربعة		٢٠٠٤/٢٥٦ص	(٢٠٠٠ د)
٦. قراءة في العهد الجديد/ ج٢: اعمال الرسل، الرسائل، الرؤيا		٢٠٠٤/٢٥٦ص	(٢٠٠٠ د)

وتؤلف الاجزاء الاربعة الاخيرة من تعريب الأب بيوس عفاص [وتضمها علبة خاصة]

مدخلا متكاملا الى الكتاب المقدس بسعر ٨,٠٠٠ دينار

(سعر خاص للجزئين من "قراءة في العهد الجديد": ٣٠٠٠ د. فقط)

٧. الكنيسة التي ورثناها عن الرسل	تأليف: أ. ريموند براون ت: م. جرجس القس موسى	٢٠٠٥/٢٠٨ ص	(٢٠٠٠ د)
٨. لوقا – الاعمال/ وعد التاريخ	تأليف: دونالد يوئيل تعريب: أ. البير ابونا	٢٠٠٦/٢٠٠ص	(٢٠٠٠ د)
٩–١٠. روايات الآلام والقيامة/ بحسب الانجيليين الاربعة	تأليف: أ. بيير بنوا تعريب: أ. بيوس عفاص	٢٠٠٦/٣٣٦ص	(٣٥٠٠ د)
١١. يسوع الذي هو المسيح	تأليف: أ. برنار راي ت: م. جرجس القس موسى	٢٠٠٧/١٣٦ص	(٢٠٠٠ د)
١٢. من اجل ايمان جاد/ الايمان بحسب القديس يوحنا	تأليف: ك.كارلو ماريتيني تعريب: أ. ألبير أبونا	٢٠٠٨/١٧٦ص	(٢٠٠٠ د)
١٣. الانجيل بحسب القديس متى/ سلسلة تفاسير ١	تأليف: كلود تاسان تعريب: أ. بيوس عفاص	٢٠٠٨/٢٨٨ص	(٣٠٠٠ د)
١٤. مذكرات مريم، فتاة الناصرة	تأليف: جاكلين هوري ت: م. جرجس القس موسى	٢٠٠٩/٢٨٨ص	(٣٠٠٠ د)
١٥. الانجيل بحسب القديس يوحنا / سلسلة تفاسير ٤	تأليف: آلان مرشدور تعريب أ. بيوس عفاص	٢٠٠٩/٢٨٠ص	(٣٠٠٠ د)
١٦. رسائل القديس بولس/ج١: ١و٢ قورنتس/سلسلة تفاسير ٦	تأليف: بول دي سرجي موريس كاريس ت: م. جرجس القس موسى	٢٠١٠/٢٣٢ص	(٣٠٠٠د)
١٧. رسائل القديس بولس /ج٢: (روما وغلاطية) / سلسلة تفاسير ٧	تأليف: جان– بيير ليمونون تعريب: الاخت باسمة الخوري	٢٠١٠/٢١٦ص	(٣٠٠٠د)
١٨. رسائل القديس بولس / ج٣: (الرسائل التسع الاخرى)/سلسلة تفاسير ٨	تأليف: شانتال رينييه ميشيل تريماي تعريب: أ. البير ابونا	٢٠١١/٣٤٠ص	(٣٠٠٠د)

(وتؤلف الاجزاء الثلاثة الاخيرة "ثالثية" تغطي رسائل بولس الثلاث عشرة تباع بسعر خاص : ٧٠٠٠ د. فقط)

١٩. الرسائل الاخيرة/ سلسلة تفاسير ٩ (عب، يع، ١و٢ بط، ١–٣يو، يه)	تأليف: ادوار كوتنيه ميشيل موركن، البير فانوا تعريب: أ. فادي مسلم	٢٠١١/٢٤٨ص	(٣٠٠٠د)
٢٠. الانجيل بحسب القديس مرقس– سلسلة تفاسير ٢	تأليف: حاك هوفيو تعريب: الاب بولس الفغالي	٢٠١٢/٢٤٠ص	(٣٠٠٠د)
٢١. الانجيل بحسب القديس لوقا– سلسلة تفاسير ٣	تأليف: هيك كوزان تعريب: الاب بيوس عفاص	٢٠١٢/٣٢٠ص	(٣٥٠٠ د)

الاناجيل الأربعة مجتمعة تباع بسعر خاص : ١٠٠٠٠ د. فقط

يظهر عام ٢٠١٣

٢٢. سفر أعمال الرسل– سلسلة تفاسير ٥	يظهر في اوائل ٢٠١٣
٢٣. سفر الرؤيا– سلسلة تفاسير ١٠	يظهر في خريف ٢٠١٣

انجزت مطبعة الديوان طبع كذا الكتاب في ١٩ تشرين الثاني ٢٠١٢

● سلسلة تفاسير ●

(Commentaires)

عشرة اجزاء تغطي بالتفسير العهد الجديد برمته، بقلم اختصاصيين فرنسيين في العلوم البيبلية. وعمدت دار بيبليا عام ٢٠٠٨ إلى ترجمتها ونشرها بمعدل كتابين في السنة.

ظهر منها ٨ أجزاء:

١. الانجيل بحسب القديس متى/ ١ — تعريب الاب بيوس عفاص/ ٢٨٨ص - ٣٠٠٠د.
٢. الانجيل بحسب القديس يوحنا/ ٤ — تعريب الخوري بولس الفغالي/ ٢٨٠ص – ٣٠٠٠د.
٣. الرسالتان إلى القورنثيين/ ٦ — تعريب المطران جرجس القس موسى/ ٢٣٢ص – ٣٠٠٠د.
٤. الرسالتان إلى روما وغلاطية/ ٧ — تعريب الاخت باسمة الخوري/ ٢١٦ص – ٣٠٠٠د.
٥. الرسائل التسع الاخيرة/ ٨ — تعريب الاب البير ابونا/ ٣٤٠ص – ٣٠٠٠د.
٦. الرسائل الاخيرة/ ٩ — تعريب الاب فادس مسلم/ ٢٤٨ ص – ٣٠٠٠ د.
٧. الانجيل بحسب القديس مرقس/ ٢ — تعريب الخوري بولس الفغالي/ ٣٤٠ص – ٣٠٠٠د.
٨. الانجيل بحسب القديس لوقا/ ٣ — تعريب الاب بيوس عفاص/ ٣٢٠ص – ٣٥٠٠د.

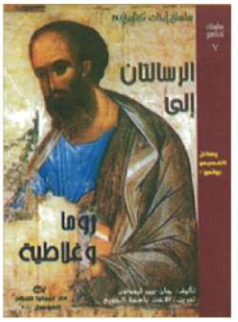

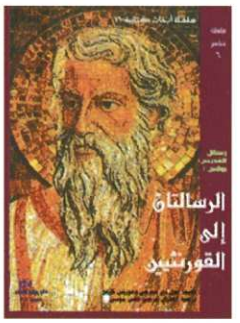

"ثلاثية" رسائل القديس بولس الثلاث عشرة مجلمعة [٣ اجزاء]: ٧٠٠٠ د.

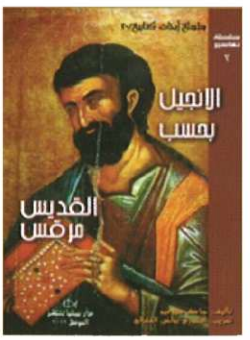

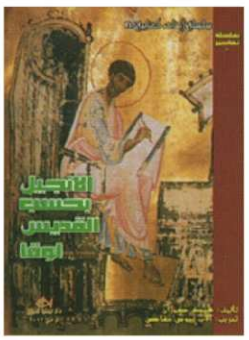

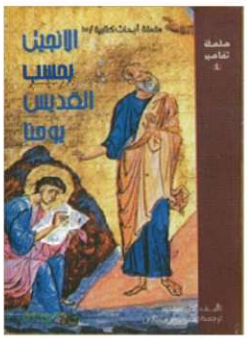

الاناجيل الاربعة مجلمعة [٤ أجزاء] ١٠٠٠٠د.

يظهر عام ٢٠١٣

٩. سفر أعمال الرسل / سلسلة تفاسير /٥ — تعريب الاب ايوب شهوان
١٠. سفر الرؤيا / سلسلة تفاسير /١٠ — تعريب المطران جرجس القس موسى

سلسلة رواقد/١

الخطوات الأولى للمسيحية

تعريب : المطران جرجس القس موسى

مع هذا الكتاب، تطلع دار بيبليا للنشر بسلسلة جديدة يدل اسمها على ما تتوخاه وتهدف إليه... انها تتوخى استقبال نتاجات، مؤلفة او معربة، في موضوعات حيوية وراهنة، وفي مجالات عديدة ومنوعة.

ومع التنوع، تحرص سلسلة **رواقد** في ما تنشره، على الائتلاف بمستوى عالٍ من الرصانة والجدية، مقرونتين بمستوى رفيع في الطرح والأسلوب، مع اعتبار لحاجات القراء وأمنياتهم وأذواقهم...

رواقد، سلسلة كتب تتيح لذوي الأقلام، من مؤلفين أو مترجمين، أن يروا نتاجاتهم منشورة، بمستوى أنيق في الطباعة وبأسعار مدعومة تضمن انتشارها...

وكانت الباكورة مع "الخطوات الأولى للمسيحية" تجمع بين التاريخ والآثار والروحانية... وتأتي في وقت تبدو فيه المسيحية في الشرق مهددة بالانقراض إذا لم يسع أبناؤها إلى تأمين حضورهم الفاعل وبشكل أفضل مما كان في الماضي السحيق... وتمتاز خصوصية هذه الباكورة انها ملأى باللوحات والجداريات والمنمنمات وصور لمواقع أثرية ومراكز هامة للروحانية، وكلها بالالوان!

سلسلة **رواقد** تزفها دار بيبليا بمناسبة اليوبيل الفضي لمركز الدراسات الكتابية (١٩٨٧ – ٢٠١٢)!

يطلب من مكتبة بيبليا -كنيسة مار توما
الموصل - العراق

سعر النسخة: ٥٠٠٠ دينار

شركة الديوان للطباعة والنشر
بغداد-العراق

٢٠١٢